السبت 1 تشرين الأول 2022
العدد 4741 السنة السابعة عشرة
Samedi 1 Octobre 2022 nº 4741 17ème année

24 صفحة
10000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

قوارب الموت في الأدب والشعر: وطن صغير يركب البحر

حتى لا يبقى الرعب بلا نهاية... روسيا تقتحم المحظور! [10]

ملف الحكومة يتحرّك: مبادلة وزارية بين الرئيسين

الترسيم في ساعة الحسم: رسالة عاجلة إلى عون [2]

(هيثم الموسوي)

البلاد

شتات

سأنجب لاجئاً جديداً

[12]

تحت الاحتلال

منهج فلسطين

[14]

مقابلة

رباب عبد الهادي
المعرفة في سبيك العدالة

[15]

قضية اليوم

مسودة هوكشتين على الطريق... والملف بيد عون

ساعات الحسم: هل ترضخ إسرائيل بتجاهل النقطة B1

توقّع مصدر رسمي أن يتسلّم لبنان خلال الساعات المقبلة رسالة عاجلة من الوسيط الأميركي عاموس هوكشتين لترسيم الحدود البحرية بين لبنان وكيان الاحتلال. وقال المصدر إن السفيرة الأميركية في بيروت دوروثي شيا طلبت موعداً عاجلاً لإبلاغ الرئيس ميشال عون آخر المستجدات ربطاً بما تبلغه الجانب الأميركي من رد إسرائيلي على المطالب اللبنانية، بما في ذلك الاقتراح بعدم العمل على النقاط البرية الخاصة بترسيم الخط الجديد، والذي كان العدو يريد انتزاعه بحجة وجود منطقة أمنية داخل المياه الإقليمية للبنان.

وقال المصدر الرسمي إن لبنان يتوقع بعد ذلك مسودة الاتفاق على شكل نص واضح يبيّن حقوقه من دون أي التباس. وأوضح المصدر أن لبنان أكد لهوكشتين ضرورة عدم إرسال مسودة تتضمّن إشارة إلى النقاط البرية لأنها ستكون مرفوضة. وأن الوسيط الأميركي بنى على هذا الأساس تصوّره القائم على تحديد منطقة أمنية تبعد عن الشاطئ بقليل على أن يصار إلى البت بوضعها إمّا تحت وصاية الأمم المتحدة أو اعتبارها منطقة عازلة بين الطرفين.

وبحسب المصدر، فإن اقتراح لبنان جعل المنطقة الأمنية البحرية تحت وصاية القوة البحرية لقوات الأمم المتحدة لم يلق قبولاً من الجانب الإسرائيلي، فما كان على تل أبيب إلا القبول بالاقتراح الآخر الذي يقول بأن ما يجري العمل عليه لا علاقة له نهائياً بالنقطة B1، بالتالي فإن خط الطفافات لا يعني شيئاً، وتترك الأمور على حالها، وأن يصار إلى حصر النقاش بالخط 23 الذي يضمن لكل طرف البلوكات الكاملة التي تخصه. ورجح المصدر أن يكون هذا هو الحل إلا إذا بادر العدو إلى مفاجأة تدمر كل شيء.

وبناء عليه، قال المصدر إن الجانب الأميركي سيرسل إلى بيروت ما يكون قد نال موافقة إسرائيل، بالتالي فإن أحداً لا يتوقع المزيد من المفاوضات. وأن الرئيس ميشال عون يشكل فريقاً قانونياً وتقنياً وإدارياً سوف يعمل على درس المسودة بالتشاور مع الرئيسين نبيه بري ونجيب ميقاتي، كما سيتم التشاور مع قيادة حزب الله التي تنتظر الموقف الرسمي للبنان حتى تقرر خطواتها المقبلة، مع الإشارة إلى أن السيد حسن نصرالله سيتحدث اليوم في مناسبة دينية في الجنوب، وسط توقعات بأن يتطرق إلى ملف ترسيم الحدود من زاوية التذكير بأن التسويف والمماطلة يهددان أي تسوية وأن الوقت غير مفتوح إلى ما لا نهاية.

وقال المصدر الرسمي إن لبنان يتوقع بعد ذلك مسودة الاتفاق على شكل نص واضح يبيّن حقوقه من دون أي التباس. وأوضح المصدر أن لبنان أكد لهوكشتين ضرورة عدم إرسال مسودة تتضمّن إشارة إلى النقاط البرية لأنها ستكون مرفوضة. وأن الوسيط الأميركي بنى على هذا الأساس تصوّره القائم على تحديد منطقة أمنية تبعد عن الشاطئ بقليل على أن يصار إلى البت بوضعها إمّا تحت وصاية الأمم المتحدة أو اعتبارها منطقة عازلة بين الطرفين.

وبحسب المصدر، فإن اقتراح لبنان جعل المنطقة الأمنية البحرية تحت وصاية القوة البحرية لقوات الأمم المتحدة لم يلق قبولاً من الجانب الإسرائيلي، فما كان على تل أبيب إلا القبول بالاقتراح الآخر الذي يقول بأن ما يجري العمل عليه لا علاقة له نهائياً بالنقطة B1، بالتالي فإن خط الطفافات لا يعني شيئاً، وتترك الأمور على حالها، وأن يصار إلى حصر النقاش بالخط 23 الذي يضمن لكل طرف البلوكات الكاملة التي تخصه. ورجح المصدر أن يكون هذا هو الحل إلا إذا بادر العدو إلى مفاجأة تدمر كل شيء.

وبناء عليه، قال المصدر إن الجانب الأميركي سيرسل إلى بيروت ما يكون قد نال موافقة إسرائيل، بالتالي فإن أحداً لا يتوقع المزيد من المفاوضات. وأن الرئيس ميشال عون يشكل فريقاً قانونياً وتقنياً وإدارياً سوف يعمل على درس المسودة بالتشاور مع الرئيسين نبيه بري ونجيب ميقاتي، كما سيتم التشاور مع قيادة حزب الله التي تنتظر الموقف الرسمي للبنان حتى تقرر خطواتها المقبلة، مع الإشارة إلى أن السيد حسن نصرالله سيتحدث اليوم في مناسبة دينية في الجنوب، وسط توقعات بأن يتطرق إلى ملف ترسيم الحدود من زاوية التذكير بأن التسويف والمماطلة يهددان أي تسوية وأن الوقت غير مفتوح إلى ما لا نهاية.

وقال المصدر الرسمي إن لبنان يتوقع بعد ذلك مسودة الاتفاق على شكل نص واضح يبيّن حقوقه من دون أي التباس. وأوضح المصدر أن لبنان أكد لهوكشتين ضرورة عدم إرسال مسودة تتضمّن إشارة إلى النقاط البرية لأنها ستكون مرفوضة. وأن الوسيط الأميركي بنى على هذا الأساس تصوّره القائم على تحديد منطقة أمنية تبعد عن الشاطئ بقليل على أن يصار إلى البت بوضعها إمّا تحت وصاية الأمم المتحدة أو اعتبارها منطقة عازلة بين الطرفين.

وبحسب المصدر، فإن اقتراح لبنان جعل المنطقة الأمنية البحرية تحت وصاية القوة البحرية لقوات الأمم المتحدة لم يلق قبولاً من الجانب الإسرائيلي، فما كان على تل أبيب إلا القبول بالاقتراح الآخر الذي يقول بأن ما يجري العمل عليه لا علاقة له نهائياً بالنقطة B1، بالتالي فإن خط الطفافات لا يعني شيئاً، وتترك الأمور على حالها، وأن يصار إلى حصر النقاش بالخط 23 الذي يضمن لكل طرف البلوكات الكاملة التي تخصه. ورجح المصدر أن يكون هذا هو الحل إلا إذا بادر العدو إلى مفاجأة تدمر كل شيء.

وبناء عليه، قال المصدر إن الجانب الأميركي سيرسل إلى بيروت ما يكون قد نال موافقة إسرائيل، بالتالي فإن أحداً لا يتوقع المزيد من المفاوضات. وأن الرئيس ميشال عون يشكل فريقاً قانونياً وتقنياً وإدارياً سوف يعمل على درس المسودة بالتشاور مع الرئيسين نبيه بري ونجيب ميقاتي، كما سيتم التشاور مع قيادة حزب الله التي تنتظر الموقف الرسمي للبنان حتى تقرر خطواتها المقبلة، مع الإشارة إلى أن السيد حسن نصرالله سيتحدث اليوم في مناسبة دينية في الجنوب، وسط توقعات بأن يتطرق إلى ملف ترسيم الحدود من زاوية التذكير بأن التسويف والمماطلة يهددان أي تسوية وأن الوقت غير مفتوح إلى ما لا نهاية.

وقال المصدر الرسمي إن لبنان يتوقع بعد ذلك مسودة الاتفاق على شكل نص واضح يبيّن حقوقه من دون أي التباس. وأوضح المصدر أن لبنان أكد لهوكشتين ضرورة عدم إرسال مسودة تتضمّن إشارة إلى النقاط البرية لأنها ستكون مرفوضة. وأن الوسيط الأميركي بنى على هذا الأساس تصوّره القائم على تحديد منطقة أمنية تبعد عن الشاطئ بقليل على أن يصار إلى البت بوضعها إمّا تحت وصاية الأمم المتحدة أو اعتبارها منطقة عازلة بين الطرفين.

وبحسب المصدر، فإن اقتراح لبنان جعل المنطقة الأمنية البحرية تحت وصاية القوة البحرية لقوات الأمم المتحدة لم يلق قبولاً من الجانب الإسرائيلي، فما كان على تل أبيب إلا القبول بالاقتراح الآخر الذي يقول بأن ما يجري العمل عليه لا علاقة له نهائياً بالنقطة B1، بالتالي فإن خط الطفافات لا يعني شيئاً، وتترك الأمور على حالها، وأن يصار إلى حصر النقاش بالخط 23 الذي يضمن لكل طرف البلوكات الكاملة التي تخصه. ورجح المصدر أن يكون هذا هو الحل إلا إذا بادر العدو إلى مفاجأة تدمر كل شيء.

وبناء عليه، قال المصدر إن الجانب الأميركي سيرسل إلى بيروت ما يكون قد نال موافقة إسرائيل، بالتالي فإن أحداً لا يتوقع المزيد من

وبحسب المصدر، فإن واشنطن التي تستعجل الحصول على موافقة مبدئية من الجانبين، تريد تحضير الأجواء لأجل إنجاز الاتفاق أو توقيع الأوراق في لقاء خاص يعقد في الناقورة بحضور ممثل عن الولايات المتحدة والأمم المتحدة قبل الإعلان رسمياً عن إنجاز إسرائيل ستعلن مباشرة الخطوات التنفيذية لاستخراج الغاز من حقل كاريش وبقية الحقول، كما ستعلن شركة «توتال» الفرنسية برنامجها لإطلاق عمليات التنقيب في الحقول اللبنانية وفق الاتفاقات المعمول بها مع وزارة الطاقة في لبنان.

في إسرائيل، تبدو المناخات «حذرة» للغاية في الساعات الأخيرة، وقبل الكثير في وسائل الإعلام الإسرائيلية عما سمي «في الطريق إلى الاتفاق مع لبنان» وجرى التركيز على «تقلص الجدول الزمني للاتفاق المحتمل، كون شركة «إنيرجيان» صاحبة حقوق التنقيب في حقل كاريش، تسعى للبدء باستخراج الغاز في منتصف تشرين الأول وهي تستعد من الآن لتجربة الضخ المعاكس للغاز، من الساحل إلى المنصة، قبل بدء الضخ إلى الساحل».

وقالت مصادر سياسية لإعلاميين إن هوكشتين يعد «اقتراحاً نهائياً» مكتوباً للطرفين، بعدما قدّم أفكاره الأخيرة إليهما شفهياً»، وأنه من المتوقع أن «يتعقد المجلس الوزاري المصغر يوم الخميس المقبل في أول جلسة حول التسوية المقترحة».

وقرأ الإسرائيليون أن حزب الله خفف من كلامه التصعيدي، وقالت تقارير عبرية إن الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله، «لا يزال يهدد، لكن بنسبة أقل الآن. وهناك من يجد في مواقفه الأخيرة إشارات مشجعة على استعداده لقبول التسوية إذا تحققت». ونقلت عن مصادر معنية بالمفاوضات أن إسرائيل «قبلت» بأن «تبقى العقبة الأساسية التي ترتبط بترسيم دقيق للحدود على خط الساحل نفسه، من دون حسم وبقائها مفتوحة».

على أن هناك مشكلة لا تزال قائمة في إسرائيل وهي ليست موجودة في لبنان وتتعلق بمواقف المعارضين لحكومة يائير لابيد، حيث بدأ أتباع زعيم المعارضة بنيامين نتنياهو الحديث عن إقامة احتجاجات في هذا الشأن قرب منزل لابيد في تل أبيب. من الممكن أيضاً لاحقاً تقديم اعتراضات إلى المحكمة العليا، في محاولة ضعيفة لطلب عرض الاتّفاق على استفتاء عام.

في السياق نفسه، يبدو أن جميع المعنيين بالاتفاق في لبنان وإسرائيل والولايات المتحدة والغرب يهتمون للجانب الإخراجي من حيث الشكل. حيث يتوقع أن تكون هناك احتفالات في لبنان ابتهاجاً بالإنجاز الكبير، بينما ستروج الولايات المتحدة لمنطق المفاوضات كممر لتحقيق التسويات، فيما سيكون الأمر مادة للسجالات الواسعة في إسرائيل وسط حمى الانتخابات، خصوصاً مع الفريق الذي يعتبر أن لابيد خضع للمقاومة. وكان لافتاً ما قاله المستشرق والباحث المعروف في مركز بيغن-السادات، الدكتور إدي كوهين من أن حكومة لابيد خضعت للسيد نصرالله، ورداً على سؤال حول ما إن كان يصدّق أمين عام حزب الله، أجاب الدكتور كوهين: نعم أنا أصدقه.

(الأخبار)

> نصرالله يتحدث اليوم وعون يشكك فريقاً للتدقيق القانوني والتقني

نماذج من صواريخ بر - بحر تملكها المقاومة في لبنان (أرشيف - الاعلام الحربي للمقاومة الاسلامية)

في الواجهة

أوراق بيض إلى أن يتفاهم غير المُستغنى عنها؟

على طريقة أن الجميع رابح، فُسِّر الاقتراع في الجلسة الأولى للانتخاب رئيس الجمهورية، في حسبان كل من فريقيْها، أنه كسب جولة على الآخر، وهزّ له العصا من دون أن يضربه بها. الأقل أهمية وضرورة وحاجة هو انتخاب الرئيس الآن قبل التثبت من الأحجام والأوزان

نقولا ناصيف

تكفي مقارنة بسيطة بين عدد الأوراق البيض الـ63 المدلاة في جلسة الخميس المنصرم (29 أيلول) لانتخاب الرئيس، وعدد الأوراق البيض المدلاة في انتخاب 12 رئيساً للجمهورية من الرئيس بشارة الخوري إلى الرئيس ميشال سليمان، كي يُكتشف مغزى الفضيحة المستعادة للمرة الثانية بعد عام 2016: من أولهم إلى الرئيس الـ12 سقطت في صندوقة الاقتراع في جلسات انتخابهم (أولى أو ثانية أو ثالثة) 35 ورقة بيضاء فقط. في انتخاب الرئيس ميشال عون 36 ورقة بيضاء فاتحة المغالاة في استخدام ما يُفترض في الاحتساب أنها ملغاة. مقدار ما غدا مفهوماً أن يدعو رئيس البرلمان نبيه بري إلى الجلسة الأولى بمرور شهر على بدء المهلة الدستورية، في مدة لم يسبقه إليها أي من أسلافه، إذ غالباً بانقضاء الشهر الأول يُنجز انتخاب الرئيس، يكون في المقابل غير مفهوم تبرير الكتل المقترعة بأوراق بيض. الأكثر استعصاء على الفهم أن تمثّل الأوراق البيض نحو الأكثرية المطلقة في مجلس النواب، وأن تصبح مع الأوراق الملغاة 75 صوتاً. أي أن ما يقرب من ثلثي أعضاء المجلس أحجم عن المشاركة الفعلية في جلسة الانتخاب، فلم يُحتسب اقتراعهم كما لو أنهم غير موجودين.

ليست الأوراق البيض وحدها ما يقتضي أن يُحتسب. واضعوها لا يملكون النصف زائداً واحداً كاملاً في البرلمان، فيما أظهرت الكتلة المصوِّتة للنائب ميشال معوّض بدورها أنها لا تملك الثلث زائداً واحداً. بذلك تعادل الفريقان في جلسة مؤداها أن أياً منهما لا يسعه الذهاب إلى انتخاب الرئيس بمفرده، أو فرض الرئيس على الطرف الآخر. عزّز هذا الخلل، والأصح أنه توازن سياسي جديد. تفرَّق الناخب السنّي وتشتته بين واضعي الورقة البيضاء والورقة اللاغية والمصوّتين لمعوض.

الأدهى كذلك أن لكل من الفريقين أكثر من مرشح معلن أو مستتر حائر بينهم، لم يحن أوان الخيار بعد. ارتأت قوى 8 آذار الاختباء وراء الورقة البيضاء لئلا تُظهر انقساماً معلوماً في مواقف أفرقائها، بينما توزّعت قوى المعارضة على مرشحين ومسمّيات أخرى لا تمت بصلة إلى الاستحقاق، عكست لها أيضاً أن أوان توحدها لخوض معركة رئاسية حاسمة وصلبة لا يزال مبكراً.

أما ما يُفترض أن تكون انتهت إليه الجلسة الأولى، من غير أن تكون الجلسات التالية على صورتها، فيضع ملاحظات متصلة بها:

1. قلة بين واضعي الأوراق البيض لا مرشح لها. اما غالبيتهم المرجحة ففي صفوفهم أكثر من مرشح. على الأقل بالنسبة إلى الثنائي الشيعي وحلفائه والتيار الوطني الحر وحلفائه. ليس هؤلاء وحدهم أصحاب الأوراق البيض. إلا أنهم، أكثر من سواهم، على دراية بمغزى استخدام الورقة البيضاء في الوقت الضائع. ليست الجلسة الأولى سوى أول فصول الوقت الضائع. أرادوا بذلك الفصل التام بين احترام المهلة الدستورية وإرادة الاجتماع وبين أوان انتخاب الرئيس. في الدستور متلازمان، أما في موازين القوى فالأمر مختلف تماماً.

2. ليس سراً أن لحزب الله مرشحين يحتاج إلى كليهما في قصر بعبدا: سليمان فرنجية حليفه السياسي والأخلاقي القديم الموثوق به، وجبران باسيل رئيس أكبر كتلة نيابية مسيحية مع حلفائه. لا يفاضل الحزب بينهما مع إدراكه أن حظوظ باسيل، المعاقب أميركياً، قد تكون أكثر صعوبة من فرنجية. الإحراج الذي يواجهه هو أنه في حاجة إلى توافقهما معاً على إيجاد تفاهم يُرسَّم أحدهما بإرادة الآخر. لا يملك الحزب الذهاب إلى انتخاب فرنجية ضد باسيل، والرئيس ميشال عون خصوصاً، ولا كذلك الذهاب في اتجاه معاكس. إلا أن الأكثر وضوحاً عند القطبين الموارنة المتنازعين على الرئاسة، أنهما بدورهما في حاجة إلى حزب الله كي يمضيا في معركتهما.

3. حتى عشية موعد الجلسة، دارت معظم المناقشات من حول جدوى ترشيح قوى 8 آذار فرنجية ومنحه 60 صوتاً، وفي اعتقاد هذا الفريق أن الرقم متوافر. أما ما سيلي الاقتراع دونما التمكن من انتخاب الرئيس، ففتح باب جدل على طبيعة هذا الترشيح: فرنجية مرشح نهائي إلى أن يُنتخب على غرار تجربة عامي 2014 و2016 مع عون، أم مرشح برسم التفاوض مع الفريق الآخر للوصول إلى تنازلات متبادلة تأتي برئيس متفق عليه. المحسوم لدى الثنائي الشيعي بالذات أن مرشحه ليس برسم المقايضة. ما لم يفعله حزب الله مع عون، لن يُقدم عليه مع الزعيم الزغرتاوي. آنذاك اختار تأجيل جلسات انتخاب الرئيس واحدة بعد أخرى منذ رفعت الجلسة الأولى في 23 نيسان 2014 ولم يكن عون مرشحاً فيها، إلى أن انضم الرئيس سعد الحريري في 21 تشرين الأول 2016 إلى خياره، تكريساً لانتخاب مرشحه.

4. خلافاً لفريق المعارضة بشتى قواه المشتت على أكثر من مرشح، وهو أبرزته جلسة الخميس بتوزّع الأصوات على مرشحيْن وعلى أوراق لاغية، لدى حزب الله مرشحان هما فرنجية وباسيل، ولرئيس المجلس مرشح واحد هو فرنجية. ما يحرص حزب الله على قوله، وهو ما ردده أمينه العام السيد حسن نصرالله أمام فرنجية، أن من غير الوارد تكرار تجربة الرئيس ميشال سليمان بعد انقلابه عليه في السنتين الأخيرتين في ولايته، لمجرد تهديده بضغوط وإغراءات تارة وبفرض عقوبات عليه، في إشارة إلى وصف الرئيس السابق ثلاثية الجيش والشعب والمقاومة بـ«المعادلة الخشبية». الأسوأ في ما عنته العبارة تلك للحزب أنها أسقطت شرعية الجمهورية برمتها عنه.

5. من غير المتوقع أن يقول حزب الله كلمته النهائية في مرشحه لرئاسة الجمهورية، في أوان جلسة الانتخاب بالذات، قبل أن يكون استنفد جهوده كلها حيال مرشحيْه غير المستغنى عنهما، دونما أن يكون ثمة ثالث لهما في ظل المعطيات المحوطة بالاستحقاق في الوقت الحاضر. استنفاد الجهود يتطلب حتماً اجتياز نهاية الولاية والدخول في شغور رئاسي. في ذلك يتقاطع استعجال الحزب تأليف حكومة جديدة على أبواب خلو رئاسة الجمهورية. في الساعات الثماني والأربعين المنقضية كان تلقى رسالة واضحة من باسيل أنه أضحى جاهزاً للموافقة على إبصار الحكومة الجديدة النور.

> نصرالله لفرنجية: من غير الوارد تكرار تجربة ميشال سليمان

تقرير

الملف الحكومي يتحرّك... وميقاتي يطمئن المصارف بشأن سعر الصرف

بعد طي أولى صفحات الاختبار الرئاسي وخروج الجميع بتعادل سلبي، عادت الأنظار إلى ملف الحكومة، التي أكدت مصادر معنية بتأليفها أنها «انتقلت مجدداً إلى مربّع الإيجابية»، مشيرة إلى أن العلي يوافق عليه الرئيس عون وذلك بالتشاور مع نواب عكار.

من جهة ثانية، لا يزال البحث جارياً حول احتمال رغبة الرئيس عون بتغيير مواقع وزارية مسيحية، منها وزير ماروني وآخر كاثوليكي مع ترجيح أن يكون الهدف توزير النائب السابق، إدي معلوف، عن المقعد الكاثوليكي، وفي حال تم الاتفاق على تغيير الوزيرة نجلا رياشي، فيرجح أن يكون هناك مرشح من طائفة الأرمن الكاثوليك الذي يفترض تسليمه حقيبة.

وفي الإطار، لفتت مصادر مطلعة إلى أن «المدير العام للأمن العام اللواء عباس إبراهيم يعمل على الانتهاء من بعض التفاصيل لا سيما في ما يتعلق بالأسماء، ليعود ويزور رئيس الجمهورية في غضون أيام». مع الإشارة إلى أن الرئيس عون كان صرح أمس لموقع «الناشر» بأن «الأمور لم تنضج تماماً بعد والبعض يناور، وهناك حاجة إلى بعض التشاور».

ميقاتي يصحح خلله

من جهة ثانية، وبالرغم من إصدار وزارة المال توضيحاً قبل يومين تشير فيه إلى سعر الصرف الجديد (15 ألف ليرة)، سيطبّق على مرحلتين، أولها الدولار الجمركي، ثم المرحلة الثانية التي تتضمن تطبيق خطة التعافي ليصبح سعر الصرف شاملاً، إلا أن رئيس الحكومة نجيب ميقاتي تطوّع من أجل توضيح إضافي. فتصريحات وبيانات الوزير يوسف الخليل بشأن سعر الصرف الجديد، وهما: رمزي مشرفية ونسيب الجوهري».

أما في ما يتعلق بالوزير السني البديل عن وزير الاقتصاد أمين سلام فقد اقترح ميقاتي اسماً من آل العلي يوافق عليه الرئيس عون وذلك بالتشاور مع نواب عكار.

من جهة ثانية، لا يزال البحث جارياً حول احتمال رغبة الرئيس عون بتغيير مواقع وزارية مسيحية، منها وزير ماروني وآخر كاثوليكي مع ترجيح أن يكون الهدف توزير النائب السابق، إدي معلوف، عن المقعد الكاثوليكي، وفي حال تم الاتفاق على تغيير الوزيرة نجلا رياشي، فيرجح أن يكون هناك مرشح من طائفة الأرمن الكاثوليك الذي يفترض تسليمه حقيبة.

وفي الإطار، لفتت مصادر مطلعة إلى أن «المدير العام للأمن العام اللواء عباس إبراهيم يعمل على الانتهاء من بعض التفاصيل لا سيما في ما يتعلق بالأسماء، ليعود ويزور رئيس الجمهورية في غضون أيام». مع الإشارة إلى أن الرئيس عون كان صرح أمس لموقع «الناشر» بأن «الأمور لم تنضج تماماً بعد والبعض يناور، وهناك حاجة إلى بعض التشاور».

ميقاتي يصحح خلله

من جهة ثانية، وبالرغم من إصدار وزارة المال توضيحاً قبل يومين تشير فيه إلى سعر الصرف الجديد (15 ألف ليرة)، سيطبّق على مرحلتين، أولها الدولار الجمركي، ثم المرحلة الثانية التي تتضمن تطبيق خطة التعافي ليصبح سعر الصرف شاملاً، إلا أن رئيس الحكومة نجيب ميقاتي تطوّع من أجل توضيح إضافي. فتصريحات وبيانات الوزير يوسف الخليل بشأن سعر الصرف الجديد، عمّا قام به وزيره. حزب الله كان من بين هذه الجهات التي أشارت إلى أن التوضيح الذي صدر عن وزارة المال ليل أول من أمس لم يكن كافياً. عندها جرت اتصالات انتهت إلى قيام ميقاتي بالأمر.

لكن ميقاتي أوضح بما يكفي للقول إن ما تقوم به قوى السلطة لن يخدم سوى المصارف، إذ قال ميقاتي لـ«رويترز» إن سعر الصرف الجديد «سيُطبّق تدريجاً مع استثناءات أولية لتشمل رساميل المصارف وسداد قروض الإسكان والقروض الشخصية التي ستستمر على السعر الرسمي القديم». ثم أوضح أن «الفجوة بين سعر السوق البالغ 38 ألف ليرة، ومعدلات أخرى يجب أن تُغلق عاجلاً أو آجلاً. يجب أن تتوازن الأمور، لا يمكن أن تبقى هذه الهوة الكبيرة بين ما يسمى سعر الصرف الرسمي وسعر صرف السوق. هذا الأمر سيطبق بطريقة تدريجية».

> أسفرت «الساعات الماضية تقدّماً بالتوافق على أن يقوم عون بتسمية الوزير الدرزي البديل»

أثارت بلبلة واسعة وتركت مساحة كبيرة للتأويل إذ تركّزت التساؤلات حول مواضيع مثل رساميل المصارف والقروض والودائع. وهذا الأمر دفع جهات عدّة إلى مراجعة رئيس مجلس النواب نبيه بري للاستفسار بمعنى أوضح، ما يقوله ميقاتي هو أن المصارف لن تتأثّر بسعر الصرف الجديد، بل إن العبء كلّه سيقع على عاتق المجتمع والاقتصاد، وأنه سيقدّم استثناء للمصارف من أجل تمكينها من الحفاظ على رساميلها.

وفي توضيحه، واظب ميقاتي على إظهار وزير المال كأنه يقف على هامش العملية بكاملها، فأشار إلى أن «تصريح وزير المال أظهر كأن كل الأمور ستطبّق في لحظة واحدة. لا. ستكون هناك استثناءات، وسيكون في أشياء تنفّذ بمراحل معينة لكي تستطيع الأمور أن تنتظم، الغاية هو الانتظام. الانتظام لا يكون إلا عندما نوحد سعر الصرف وفقاً لسعر السوق. هذا الأمر سنأخذه في الاعتبار، سيحتاج إلى وقت، نتمنى أن يحصل الانتظام بطريقة صحية».

(الأخبار)

تقرير

القضاء العسكري يواصل تبرئة العملاء

عبد الله قمح

في تعامله مع عملاء العدو الذين يعودون إلى لبنان، يحصر القضاء العسكري إشاراته بالاستدماء والترك رهن التحقيق كاقصى عقوبة ممكنة. وهي إجراءات لا مبرر لها سوى تأمين «مظلة حماية» تعزّز من رغبة هؤلاء في العودة والاندماج.

ففي ما يتعلق بالعميل اللحدي نبيه سليمان عليق الذي عاد إلى بلدته عيترون (قضاء بنت جبيل) قادماً من المانيا، وتُرك «رهن التحقيق» بعد استماع استخبارات الجيش إليه، تبيّن أن عليق وصل إلى مطار بيروت في 29 آب الماضي. ولدى تدقيق الأمن العام في أوراقه، تبيّن أن اسمه معمّم ضمن البرقية 303 التي تعنى بالمطلوبين في حالات العمالة والإرهاب، فاوقف وأحيل إلى مديرية الاستخبارات بجرم الانتماء إلى ميليشيا العملاء ودخول بلاد العدو، وبعد الاستماع إليه والتحقيق معه بناءً على إشارة القضاء العسكري بشخص مفوض الحكومة لدى المحكمة العسكرية بالإنابة القاضي فادي عقيقي، أشار الأخير بتركه رهن التحقيق، وطلب من الأمن العام منعه من السفر والإبقاء على الرقابة الأمنية عليه.

> تراجع القضاء العسكري عن منع السفر بحق العميل وتركه رهن التحقيق

غير أن عقيقي عاد عن إشارته الأولى لأسباب برّرتها مصادر قضائية بـ«مرور الزمن». ففي 19 أيلول الماضي، أصدر برقية إلى الأمن العام بإلغاء ما سطره حيال «منع السفر»، ليعود ويؤكد على إشارته تركه بسند إقامة وإلغاء منع السفر عنه، علماً أن عليق شارك منذ عام 1987 في أكثر من مواجهة مع المقاومة وسافر إلى المانيا عام 1999 عبر بلاد العدو بعد فترة على مقتل أحد أشقائه في عملية للمقاومة في بلدة بني حيان. وبعد عودته واستقباله المهنّئين، تحركت «هيئة الأسرى والمحررين» وتقدمت بإخبار ضده إلى المحكمة العسكرية عبر وكيلها القانوني غسان المولى.

وكانت المديرية العامة للأمن العام قد أكّدت في بيان أمس أن الأمن العام اللبناني أوقف عليق بتاريخ 2022/08/29 في مطار بيروت لوجود تدبير عدلي صادر بحقه لانتمائه إلى «ميليشيا لحد» ومغادرة لبنان عبر فلسطين المحتلة. وأحيل بتاريخ 2022/08/31 من دائرة التحقيق الأمني إلى مديرية المخابرات - فرع التحقيق إنفاذاً لإشارة القضاء المختص، نافية ما أوردته «الأخبار» أمس حول مروره بالمطار من دون توقيف.

مركب الموت

من جهة ثانية، علم أن التحقيقات العسكرية انتهت مع المدعو بلال نديم وهو المسؤول الأول عن المركب الذي غرق قبالة شواطئ طرطوس وتقرر تحويل ملفه إلى النيابة العامة، علماً أنه وحتى الساعة، فإن أي دعوى قضائية لم ترفع ضده ما أثار خشية من فرضية إخلاء سبيله خلال الأيام المقبلة.

على الغلاف

بعد الحروب، على جبهات متعددة، والحصار الاقتصادي الخانق من أجل القضاء على حزب الله، من دون جدوى، تتفتق «عبقرية» لبنانيين من عملاء المخابرات الأميركية في واشنطن عن «معادلة» جديدة يجري التسويق لها: لبنان جديد تعبّر عنه المعادلة الرياضية التالية: لبنان = مسيحيون + سنة + دروز - شيعة! بدل رمي الشيعة في البحر، يمكن إقامة جدار عازل يفصل «لبنانهم» عن «لبناننا»!

مشروع جديد في واشنطن
لبنان بلا الشيعة

غسان سعود

بعد تنقّلها بين نيويورك وفيلادلفيا، حطّت مكتبة الكونغرس في العاصمة الأميركية وإشنطن عام 1800. تُعرف اختصاراً بـ LOC، وتتبع إدارياً للكونغرس، لكنها بمبانيها الثلاثة في «كابيتول هيل»، بمثابة مكتبة وطنية، وهي مقصد أساسي لزوار العاصمة، إذ بلغ عدد زائريها عام 2019، مثلاً، نحو 1,9 مليون سائح. قاعات المكتبة الـ 26 تعجّ يومياً بالمؤتمرات، إذ يمكن لكل منظمة أو مجموعة أفراد - أو حتى شخص بمفرده - أن يحجز قاعة، مقابل بدل مالي، لتنظيم ندوة أو ورشة عمل. مع ذلك، «يسرّب» كثيرون خبراً أو صورة عن مشاركتهم في لقاء في «مكتبة الكونغرس» كما لو أن اللقاء في الكونغرس نفسه.

إلاّ أن بعض ما نوقش في مكتبة الكونغرس (وليس في الكونغرس) في 6 نيسان الماضي، يتبغي التوقف عنده لكشف ما يفكر به بعض الأفرقاء اللبنانيين ويستنفرون علاقاتهم في الخارج لإقناع الخليجيين والأميركيين به. وبمعزل عما يصف وليد فارس (بتروني هاجر إلى الولايات المتحدة عام 1990 وعمل لمصلحة الاستخبارات الأميركية) نفسه به على موقعه على الإنترنت (من «أمين عام» لمنظمة «مستشار» للجنة و«خبير» ومحاضر جامعي وكاتب وصاحب إطلالات تلفزيونية شبه يومية و«ناصح» للرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب)، فهو لا يمل من تقديم مشاريع ومحاولة تسويقها في أروقة الكونغرس، وآخرها «المنطقة الحرة». إذ إنه «بعد فشل الدولة اللبنانية في إثبات وجودها كدولة سيدة، بحكم سقوط جميع مؤسساتها تحت الاحتلال الإيراني، لا بد من تدخل دولي طارئ لوقف الانهيار الاقتصادي والنزيف الديموغرافي». وهو تدخّل يشمل جغرافياً المساحة التي كانت تشغلها متصرفية جبل لبنان، مع إضافة عكار شمالاً، واستثناء «الشاطئ الماروني» بين صيدا وبيروت. وفي المرحلة الثانية، يمكن ضم صيدا والدامور وعنجر وأجزاء من مرجعيون إلى هذه «المنطقة الحرة»، كما يقترض بالمتدخلين أن يستولوا بسرعة على مستودعات الأسلحة والذخيرة، والتخلص من السلاح غير الشرعي. ومنعاً للالتباس(!)، كما يؤكّد فارس، فإن هذا «المشروع ليس تقسيماً، ولا نظاماً فدرالياً، ولا إعادة هيكلة للسلطة، إنما حماية للبنان من المخاطر الاقتصادية والديموغرافية والأمنية». وهو أشبه بـ «مرحلة انتقالية» لا تستوجب أي صدام مع حزب الله، إنما ترك الحزب في مناطقه وتحصين المناطق الأخرى. ويقوم المشروع على أسس ستة:

> أصحاب المشروع يتوقعون رضوخ حزب الله له كتسوية أو الانخراط في «حرب أهلية يستحيل عليه ربحها»

1 - إنشاء «منطقة حرة من المليشيات»، ضمناً حزب الله، تمتد من بيروت إلى الحدود الشمالية، مروراً بجبل لبنان وطرابلس وعكار وكل المناطق الأخرى «غير الخاضعة لسيادة حزب الله».

2 - يحمي الجيش اللبناني هذه المنطقة، ويعيش فيها رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء والوزراء ويكون المصرف المركزي ضمنها.

3 - استحداث مطارين أحدهما في القليعات المارونية (وليس القليعات حيث مطار رينيه معوض) والثاني في حامات حيث يوجد مطار عسكري للجيش اللبناني الذي يفترض أيضاً أن يتولى المسؤوليات كاملة في مرفأي بيروت وطرابلس.

4 - حفظ الحرية السياسية وحرية التعبير واحترامهما بالكامل في المنطقة الحرّة، حيث لا يمكن لأي مجموعة مسلحة، ولأي سبب، أن تمنع تحرك مواطن أو تتعرض له أو توقفه.

5 - يجب فتح الأبواب للخارج، خصوصاً العرب، للاستثمار في المنطقة الحرة لتنشيط الاقتصاد، وتفعيل المصارف، ومساعدة المجتمع على النهوض.

6 - المواطنون في المنطقة الحرة يمكن أن يباشروا تنفيذ هذا المشروع من دون تصادم مع حزب الله. أما كيف ينطلقون، فهو ما سيناقش أكثر في المستقبل القريب.

وبحسب الورقة - المشروع - الطموح: بمجرد أن يتبنى الكونغرس مشروع «المنطقة الحرة»، تنتفي الحاجة إلى تصويت إضافي من الأمم المتحدة، لأن إقامة هذه المنطقة تأتي في إطار تنفيذ القرار 1559 الصادر عن الأمم المتحدة. ويلفت معدّ المشروع إلى أن «حماسة المجتمع الدولي عام 2004 ما كانت لتحصل لولا التظاهرات الشعبية الكبيرة في لبنان، ما يؤكد أن المسار الطبيعي لتحقيق هذا المشروع يبدأ من التنسيق والتقارب بين جميع الديناميكيات الموجودة في الداخل اللبناني والإقليم والمجتمع الدولي. وإذا كانت المبادرة الكويتية هي الأفضل نصاً فإنها لن تثمر (Bear fruit) إذا بقيت من دون مساندة جماهيرية لبنانية. تماماً كما كانت المبادرة البطريركية للحياد تحتاج إلى دعم شعبي دولي وإقليمي ومحلي. والدعم المحلي هو رهن تنسيق مسيحي - سني - درزي مشترك، مع التأكيد الدائم على تنسيق جهود كل من المجتمع المدني، الاغتراب اللبناني، الأحزاب، القيادات الروحية والإعلام».

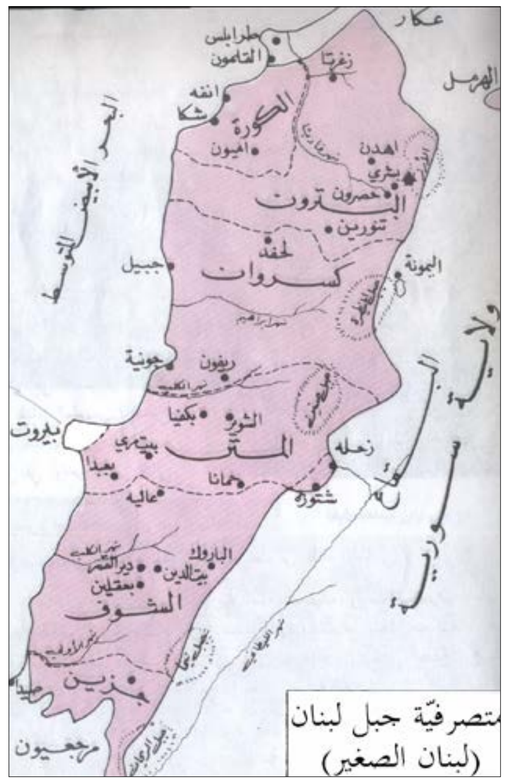

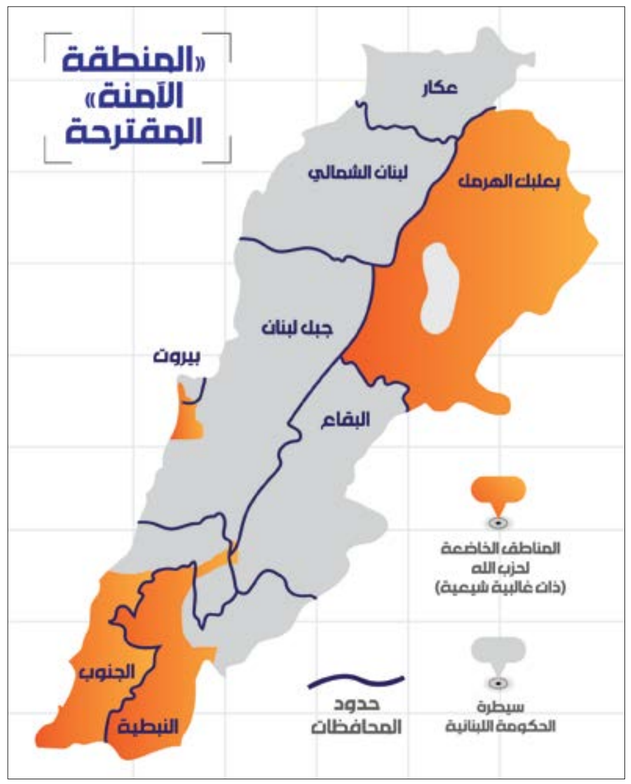

مقالة

«شياطين المال والسياسة» على أجندتهم

نجيب نصرالله

الثابت أن «الوظيفة» تلتصق بشاغلها التصاق الظفر بالإصبع، فالعسكري، كما الإداري، كما القانوني كما المصرفي، كما المربي... تستولي عليه وظيفته، وتطبعه بطابعها. أما حين لا تفعل فلا أقل من أن تلاحقه وتتدخل في صوغ «هويته» الاجتماعية. وللإيضاح، ينبغي القول إن الوظيفة غير المهنة. وما ينطبق على «الوظيفة»، التي نحن بصدد الحديث عنها، لا ينطبق على المهنة. فلكل من الوظيفة أو المهنة آليات اشتغال خاص قد تلتقي حيناً وتفترق أحياناً.

والثابت، أيضاً، أن ثمّة بين «الموظفين»، وهم الغالبية الغالبة، بحسب المؤكد سلوكياً، من لا تغادره الوظيفة حتى لو غادرها. ولو لم يكن الأمر كذلك، وهو فعلاً كذلك، لما عانى غير موظف (لا حاجة إلى ذكر الأسماء)، وهي أكثر من معروفة) ما عاناه حين قُيّض له، أو لها، الوصول إلى موقع سياسي عام أو خاص. فالموظف يبقى موظفاً ولو صار... وزيراً صاحب توقيع. طبعاً، هناك من ينجح، ولو بعد لأي، وهم القلة، في التحرّر الفعلي من ثقافة الوظيفة وأثقالها. تلك القائمة، في جوهرها، على الإذعان الكامل لموجبات التسلسل الوظيفي وهرميّته. والتي تفرض، من جملة ما تفرض، التنفيذ الحرفي والدقيق للمَهامّ التي تُسند إليه أو يؤمر بها. فضيق الخيارات هو أول قوانين الوظيفة. وكثيراً ما يحدث أن ترغم شاغلها على القبول بما لا يُقبل به، حتى لو ظهر للمأمور أو المأمورة أنها تتعارض مع القناعات الشخصية أو سلّم المبادئ والقيم ناهيك بالانحيازات السياسية والاجتماعية... لأن من شأن «التمرد» أن يقود صاحبه إلى فقدان مورد العيش وأسباب الحياة. والواقع يقول إن من اعتاد على تلقّي الأوامر وتنفيذها سيبقى كذلك، ولو بلغ أعلى المناصب، كحال «الخديو» العسكري والسياسي والوطني والأخلاقي والمعرفي الذي أمكن له، عبر تسوية «الدوحة» عام 2008، النفاذ إلى الموقع الرسمي الأول، وتالياً تحقيق ما يتناقض مع «مؤهّلاته» البالغة الهزال والتواضع.

ولقد شاءت الظروف المؤسفة أن يكون الصديق (الوزير) يوسف الخليل من بين هؤلاء الذين لم تغادرهم لا الوظيفة التي اختارها ولا موجباتها. وهي الموجبات المركّبة التي قادته، «راضياً مرضياً»، ومن غير «ممانعة» واضحة، لأن يكون واحداً من أقرب موظفي رياض سلامة وأعوانه. أما حين تضافرت «الظروف السيئة» ورشّحته لتولي منصبه الوزاري المتقدم، فالواقع أنه لم يُسعد بهذا «التقدم» الوظيفي لكنه، أيضاً، لم يعترض. وهنا ربما تكمن مشكلة صديقنا الكبيرة خصوصاً حين رفض الأخذ بنصيحة الأصدقاء، الذين تطوّعوا وسألوه رفض «المأمورية» السامة. كما لم يصغ سابقاً إلى وجوب الابتعاد عن سلامة والناي بنفسه عن ارتكاباته الشنيعة.

والأرجح أن إغراء الموقع وامتيازاته هي التي منعته من رؤية الأخطار التي تنتظره. فكان أن انتدب نفسه لمجهول - معلوم أوصله إلى حيث هو اليوم. خصوصاً، مع وفرة العناصر المحرّضة على الرفض، والداعية له، وأولها هوية الجهة التي سمّته وصلاتها المعدومة بـ «آداب وقواعد» وأخلاقيات العمل العام، وهي ذات سجل طافح ومثقل بما يتعارض مع ألف باء الخدمة العامة. لكنّ الرجل أبى، يومها، إلا أن يوافق، وكان أن اختار المغامرة، وتالياً، المقامرة بما كان تبقّى له من رصيد، سبق له أن بدّد معظمه على «مائدة» رياض سلامة العامرة بالفساد والإفساد المنظمَين.

وحده جميل السيّد، بثاقب نباهته المثيرة لخشية «خصومه» وغيرة وحسد «أصدقائه»، من أجاد تلخيص المشهد الذي ارتسم عقب ارتضاء الخليل التوقيع على «القرار» الفضيحة.

لقد فعلها «شياطين المال والسياسة»، وأوقعوا بصديقنا يوسف الخليل. لكنّ الأوان ربما لم يفت بعد. وبإمكانه، إن أراد، المسارعة إلى سحب التوقيع الذي «سرقه» منه الشياطين إياهم. بل وردّ الصاع صاعين من خلال الاستقالة الفورية من مَهام المنصب «القذرة».

لقد فُرض على يوسف الخليل الإقدام على خطوة كانت وستبقى من اختصاص غازي وزني الذي أتقن لعب الدور المرسوم له وتفنّن فيه، قبل أن يُستغنى عنه لانتفاء الحاجة التي استدعته.

يبقى الأمل في أن نستعيد صديقاً غدر به «الموقع»، وأخطأ حين قبل به.

تقرير

ملف المطران الحاج «عالق»... عبود يُعطّل الحل؟

عبد الله قمح

«يعتنق» رئيس مجلس القضاء الأعلى سهيل عبود التعطيل. يُعطّل التشكيلات القضائية ومنها تعيينات قضاة محاكم التمييز، ويعطّل تعيين قاضٍ رديف في ملف التحقيقات بانفجار مرفأ بيروت، كما يعطّل التوصل إلى حل في ملف راعي أبرشية حيفا وتوابعها النائب البطريركي على القدس والأردن المطران موسى الحاج.

قبل شهر تقريباً، زار عبود البطريرك الماروني بشارة الراعي في الديمان عارضاً عليه تبنّي إنتاج حل «قانوني» للقضية القضائية العالقة بين الكنيسة والقضاء العسكري بعد إصدار مفوض الحكومة لدى المحكمة العسكرية القاضي فادي عقيقي إشارة قضائية بمصادرة مقتنيات المطران الشخصية وما يحمله من أموال من الأراضي المحتلة، ومنعه من دخولها مجدداً ريثما يتم الاستماع إليه في المحكمة. بارك الراعي جهود عبود الذي غادر على أساس أنه سينكبّ على إنتاج حل، ثم يعود إلى البطريرك ليبلغه المضمون. انقضى أسبوعان من دون أن يردّ «خبراً»، ما دفع بالبطريركية إلى التحرك لسؤاله عن التأخير، لينأى الجواب بأنه «يعمل على الملف» طالباً مهلة إضافية، إلى أن مرّ نحو شهر من دون انتهاء المسوّدة الموعودة. أعادت البطريركية التواصل مع عبود، ليجيب أنه «غارق» في ملف تعيين قاضٍ رديف في ملف المرفأ واعداً بإنجاز «المسودة» فور الانتهاء من هذا الملف وطالباً إمهاله إلى آخر الشهر الجاري أو مطلع الشهر المقبل. المشكلة بالنسبة إلى البطريركية أن «تجميد» الملف القضائي للمطران يجمّد نشاطه «الرعوي» في ظل وجود ملفات تحتاج إلى متابعته، علماً أن الاتفاق الذي كان يعمل عليه الوزير السابق ناجي البستاني ارتبط بآلية أوضح، قامت على فكرة تسليم مقتنيات المطران الشخصية (وهذا ما حصل)، والتوسع في التحقيقات فيما برّأت السلطة نفسها عبر صيغة تحسين رواتب القطاع العام التي أقرّت في الموازنة، والتي تشمل القضاة. ورغم أن عبود تبلّغ ذلك، إلا أنه لم يبلغه إلى القضاة ولم يدع إلى جمعيّة عمومية، ما سبّب ضياعاً لدى معظم القضاة الذين لم يتلقّوا تأكيداً ما إن كانوا مشمولين بالقانون.

وعلمت «الأخبار» أن مجلس الوزراء سيُصدر تعميماً بهذا الشأن فور صدور القانون في الجريدة الرسمية، ليؤكّد أنه سيتم شمول القضاة على وجه الخصوص به، علماً أن القانون لم يصل من مجلس النواب إلى مجلس الوزراء بعد. وبالتالي لن يُنشر في الجريدة الرسمية ويصبح ساري المفعول قبل نهاية تشرين الأوّل.

(هنا الوبيه)

في ملف نقله الأموال من الأراضي الفلسطينية المحتلة من جانب عملاء لمصلحة أهاليهم في الداخل اللبناني، مقابل «تحرير» حركة المطران مجدداً والعودة إلى دخول الأراضي المحتلة من بوابة «معبر الناقورة»، مع التعهد بإخضاعه لآلية التفتيش المنصوص عليها من جانب الأمن العام، وعدم نقل الأموال من الأراضي المحتلة.

وفي شأن متّصل، علمت «الأخبار» أن مسألة تسليم الأموال التي كانت في حوزة المطران لا تزال قيد البحث. ففيما تصرّ بكركي على استعادة الأموال، ذهب مقرّبون منها إلى طرح التفاهم على آلية لفرزها بمعنى تسليم الأموال التي لا يُعدّ مصدرها مشبوهاً، بينما يرفض القضاء العسكري «تحرير» أي مبلغ من الأموال المصادرة. وقد علمت «الأخبار» أن رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط أوعز إلى مشيخة العقل بعدم المطالبة بأي أموال حملها المطران الحاج معه، وهو ما حصل فعلاً.

تقرير

القضاة متمسّكون باعتكافهم: زيادة الأجور غير مقبولة

لينا فخر الدين

كان مفترضاً أن يدعو رئيس مجلس القضاء الأعلى سهيل عبود إلى جمعيّة عمومية للقضاة أمس، لمناقشة التطورات في قضيّة اعتكافهم. سريعاً، صرف «الرئيس» النظر عن الاجتماع بعدما جاء ردّ القضاة نهاية الأسبوع الماضي عندما صوّت نحو 350 قاضياً في دردشة على الغروب الخاص بهم على «واتس اب» على رفض فكّ الاعتكاف.

ويؤكّد بعض هؤلاء أن «لا جديد حصل بشأن تحسين الأجور وبالتالي لا قرار بالعودة إلى العمل، علماً أن معظمنا يرى أن الاعتكاف بات عبئاً علينا، إلا أنّ السلطة لم تقم بشيء لحل الأمر».

ومهما يكن من أمر، فإن هذه الزيادة لا تُغيّر في واقع القضاة شيئاً، إذ إنّهم سيستمرون باعتكافهم لأن «هذه الزيادة بكل بساطة غير كافية»، بحسب أحد القضاة، مشيراً إلى أن القضاة قاموا بدراسة تُشير إلى أنّ الزيادة لن تكون أكثر من 6 ملايين ليرة مع احتساب الضرائب، وأن رواتب القضاة ستتكون بين 4 ملايين و500 ألف ليرة كحد أدنى و18 مليوناً كأعلى راتب يتقاضاه القضاة من ذوي المراكز العليا. وبناءً على هذه الأرقام، فإن الزيادة لم تُغر القضاة للعودة عن اعتكافهم المستمر منذ أكثر من شهر ونصف شهر، ولا يزالون يأملون بأن يسير مصرف لبنان في آلية دفع الرواتب على سعر صرف 8 آلاف ليرة للدولار، باعتبار هذا هو مطلب الحد الأدنى بالنسبة إليهم.

ورغم أنّ القضاة قبضوا رواتبهم أول من أمس على الـ1500 ليرة، إلا أنّهم يمنّون النفس براتب إضافي الأسبوع المقبل بتعميم خاص يصدر عن مصرف لبنان. ويشدّدون على أن هذا الراتب لا يُمكن اعتباره رشوى، «وإلا فلنُعتبر كل التعاميم الصادرة عن حاكم مصرف لبنان رياض سلامة كتطبيق صيرفة مثلاً بمثابة رشاوى لجميع القطاعات».

وفي حال أصدر مصرف لبنان التعميم الخاص بالقضاة، فلن يكون محصوراً بالـ620 قاضياً العاملين حالياً، وإنما سيستفيد منه أيضاً القضاة المتقاعدون الذين يتعدّى عددهم الـ250 قاضياً.

تقرير

عبد سوبرة: اقتحام المصرف بقوة «طريق الجديدة»

مضت أيام على إطلاق سراحه. المودع الوحيد الذي خرج من مصرف «لبنان والمهجر» في طريق الجديدة يوم «الثورة على المصارف» في 16 أيلول الفائت بسلّة فارغة. استردّ جزءاً من وديعته. ليس بقوة السلاح، بل بـ«قوّة طريق الجديدة»

زينب حمود

كان عبد الرحمن سوبرة منشغلاً في محله لبيع الهواتف وأكسسواراتها في طريق الجديدة عندما رُنّاه. حادثة اقتحام المصرف الجمعة 16 أيلول الماضي صارت خلفه. هي «أصلاً ليست اقتحاماً». تستفزّه هذه التسمية، ويفضّل أن يسميها ممازحاً «اقتحام كلاس»، لأنه لم يؤذِ أحداً، وإنما هدّد بقتل نفسه، واكتفى بالصراخ وبكسر لوح زجاج ومجموعة ألواح بلاستيكية. كما لم يحتجز موظفين ومودعين بل بقي معه المدير ونائبه فقط. أما السلاح الذي كان بحوزته يومها فهو «لا يفارقني بغرض الحماية الشخصية،

> **استردّ سوبرة 50 ألف دولار من وديعته على سعر دولار 12 ألف ليرة**

ولم أرفعه بوجه أحد، وقد سلّمته على الفور عندما سُئلت عنه».

بعيد سوبرة الاقتحام «الناعم» الذي نُفّذه إلى علاقته الطيبة مع الموظفين، لذلك كان يصرخ في وجههم ثم يعتذر منهم. لكن، حتى لو كان المصرف خارج طريق الجديدة، بجزم أنه لم يكن ليرفع سلاحاً بوجه موظفين لا ناقة لهم ولا جمل.

خوفاً من «الكابيتال كونترول»

يكشف سوبرة السبب الحقيقي وراء هجومه على المصرف. هو ليس مديوناً لأحد، بل قال ذلك «لكسب تعاطف الناس». و«صبت الفقر» هذا أضرّه لأن «التجار ظنوا أنني أفلست وراحوا يطالبونني بأموالهم». ما حصل أنه تخوّف من إقرار «الكابيتال كونترول» التي «ستقضم 70% من الوديعة إذا تجاوزت المئة ألف دولار»، كما يعتقد، لذا أراد أن يسحب منها حتى لا يخسرها. أما التوقيت، فيعود لاستيقاظه على رسالة من تجار في الصين يطالبونه بالأموال، بالتزامن مع اقتحام مصرف في الغازية، ما مدّه «بجرعة من الحماسة». لم تأتِ الأموال إلى عبد على طبق من فضّة حتى يتنازل عنها، وإن لم يكن بحاجتها بشكل ملحّ. فهو بدأ عمله بائعاً جوالاً لقطع الهواتف على الدراجة النارية، قبل أن يفتتح سلسلة محال.

دخل عبد المصرف غاضباً يطالب بوديعته، وخرج بعد 10 ساعات من المفاوضات، في ظلّ احتضان شعبي كثيف من أبناء طريق الجديدة الذين تجمّعوا أمام باب المصرف، وتغطية واسعة لوسائل الإعلام. رغم ذلك لم يستوفِ أيّ جزء من أمواله. كان ذلك صادماً وأثار شفقة البعض على «المودع المظلوم». إلا أن عبد حصل على 600 مليون، أيّ 50 ألف دولار على سعر صرف 12 ألفاً للدولار الواحد، بعد إطلاق سراحه. وهو ما جرى الاتفاق عليه بعد سلسلة مفاوضات مع إدارة المصرف شارك فيها النائب أشرف ريفي والشيخ محمد أبو القطع. لا يزال هناك مبلغ عالق، سيفاوض عبد لتحريره وإلا «أكرّر الدخول بالطريقة ذاتها»، لكن «هذه المرة من دون سلاح بل بمؤازرة المحبين»، يقول ممازحاً.

سوبرة: صيت الفقر أذاني مع التجار (هيثم الموسوي)

تسييس القضية

لماذا وثق عبد بالمصرف، وصدّق أن مفاوضيه سيفون بوعدهم علماً أنهم لم يحفظوا وديعته؟ يجيب: «تدخل ريفي ربّحني، كذلك الشيخ أبو القطع الذي تعهد أنه في حال نكث المصرف بوعده معنا سينزّل ألفي شاب بعد خطبة الجمعة إلى المصرف». خلافاً لما وصفه البعض «استعراضاً»، يجد عبد أن حضور ريفي أفاده وفتح باب المفاوضات مع إدارة المصرف التي رفضت أي عرض غير تسليمي 40 ألف دولار على سعر صرف 12 ألفاً.

بعد نحو ساعة من حضور ريفي، ذلك اليوم، انقسمت الآراء بين مؤيّد لسوبرة وبين معارض له. التسييس غطى على حادثة الاقتحام وتحوّل الحديث بين المتضامنين إلى خصوصية «المنطقة التي لا يدخلها غير سعد الحريري». تبع ذلك تلاسن وتدافع مع عناصر الجيش اللبناني. كان عبد على علم بكل ذلك، و«انزعجتُ من تضييع البوصلة، فأنا أرحب بأي أحد يعرض المساعدة، سواء ريفي أو غيره».

إلى ريفي، تدخل النائب نبيل بدر في القضية. حضر إلى المصرف ثم رافقه إلى المخفر في ثكنة الحلو للإدلاء بإفادته واعداً بأن لا يجري توقيفه أبداً. لكنه لم يستطع الإيفاء بوعده، إذ تم توقيفه خمسة أيام، من الجمعة حتى مساء الأربعاء.

من تابع قضية عبد، يشعر أن بطلة الحادثة هي طريق الجديدة، وليس منفذ العملية. «فللمنطقة خصوصيتها والجميع يريد أن يأخذ حصة فيها». برأي سوبرة، الذي لم يستوعب بعد حجم التعاطف الكبير الذي قدّمه أبناء طريق الجديدة، «صحيح أننا أهل، لكن هناك من ترك عمله ولم يتركني طيلة النهار، وهناك من كان مستعداً ليفعل أي شيء ليساندني، حتى أنهم لامونني لأني دخلت وحدي». لم تكن الحشود أمام باب المصرف جميعها تعرف عبد شخصياً، يكفي أنه ابن طريق الجديدة.

يبرّر سوبرة «خطابه» الذي وجهه ذلك اليوم من المصرف عن مظلومية «سنّة طريق الجديدة»، والتأييد الذي حظي به من المستمعين الذين أكدّوا «نحن ما إلنا ضهر يحمينا»، بالقول إنه كان كلاماً عفوياً، لكنه لا ينفي حقيقة الشعور «الدولة لا تستقوي إلا علينا لأن نواب بيروت مثل قلّتهم».

في «زنزانة المودعين»

خلال فترة توقيفه، مكث عبد مع بقية المودعين الذين اقتحموا المصارف في اليوم نفسه، ومعهم عبد الرحمن زكريا ومحمد رستم اللذان كانا قد آزرا المودعة سالي حافظ في اقتحام أحد فروع مصرف لبنان والمهجر قبله بيومين. تعارفوا، وأضربوا عن الطعام ليومين للضغط في سبيل إطلاق سراحهم.

عن تجربته في التوقيف لخمسة أيام، يقول عبد إنه عومل بشكل جيّد «وزارنا النواب وضاح الصادق وإبراهيم منيمنة، وسينتيا زرازير». قضى عبد أيام التوقيف في قراءة القرآن والتسبيح، ولم يفهم سبب توقيفه. هل يستدعي حيازة سلاح غير مرخص كل ذلك؟ يرى أن النائب العام التمييزي القاضي غسان عويدات «سيّس الملف وماطل فيه ليحاكم كل المودعين بالطريقة ذاتها». خرج عبد مقابل كفالة 15 مليون ليرة، ومنْع سفر لمدة 6 أشهر ما يضرّ بعمله الذي يتطلّب السفر.

تقرير

الأهالي يناشدون تحويله إلى محميّة طبيعية

نفق تل أندي الطبيعي ضحية تجار الحطب والفحم

محمد ملص

يشكل طريق تل أندي، باتجاه الحدود السورية، صورة نادرة عن معالم الطبيعة في عكار، حيث تزنّر الطريق الممتدة على طول 3 كلم قرابة ستة آلاف شجرة من أشجار الكينا المعمّرة، والتي باتت تشكل نفقاً طبيعياً غالباً ما يجذب الزوّار من خارج عكار، ويخلق خلفية طبيعية لالتقاط الصور الفنية.

في الوقت الذي تتسبّب فيه أعمال القطع والتشحيل بانداع حرائق على مساحات كبيرة من أحراج عكار، أعطت وزارة الزراعة رخصة قابلة للتجديد، لقطع أشجار الكينا المعمّرة في منطقة تل أندي والتي تشكل نفقاً طبيعياً. فقد استحصل أصحاب إحدى الأراضي، من آل أبو جودة، على رخصة لقطع أشجار الكينا وبيعها، معتبرين أنهم من زرعوا هذه الأشجار وبات لهم الحق في قطعها كونها مزروعة في أملاكهم الخاصة.

ونتيجة هذه الرخصة، تمّ بيع الأشجار إلى محمد خضر، ابن بلدة قبعيت، الذي يعمل في مجال تجارة الحطب والفحم. وكشفت مصادر خاصة إلى «الأخبار» أنّ الرخصة التي تم الاستحصال عليها من وزارة الزراعة «مخصصة فقط لقطع 66 شجرة ومحصورة ضمن الأشجار المعرضة للسقوط والأشجار اليابسة، إلا أن ما يجري على الأرض مخالف لكلّ الرخص، إذ أقدم خضر على قطع ما يزيد عن 120 شجرة حتى الآن وكلّها أشجار خضراء». ويتابع المصدر: «بإمكان قاطع الأشجار تجديد الرخصة والاستحصال من وزارة الزراعة على رخصة جديدة، لا يمكن أن تتخطى 66 شجرة، ويكمن خطر القطع، بأنه وفي حال إزالة أحد جوانب النفق، فمن المحتم أن يؤدي إلى سقوط الجزء الآخر».

يؤكد خضر، الذي اشترى الأشجار من أصحاب الأرض، أنها ملك خاص وليست للأهالي، وأنه يقوم بقطع «أشجار معرّضة للسقوط من المؤكد أنها ستتسبّب بإيذاء السيارات والأهالي»، مطالباً الأهالي الذين يريدون منْعه من استكمال العمل بـ«التعويض المالي والتوقيع على تعهد بأن أي ضرر يلحق بأي سيارة هم سيتكفلون به».

من جهتهم يؤكد أهالي تل أندي، أن النفق الذي يقع ضمن نطاق بلدتهم الجغرافي، بات معلماً خاصاً بالضيعة كونه موجود في الحرم المخصص للطريق العام «ولو تمت زراعته من قبل أصحاب الأراضي، إلا أن جماليّته وخصوصيّته لا يمنعان من أن يكون ملكاً عاماً لنا»، مناشدين وزارة البيئة «الكشف الميداني على النفق، وتحويله إلى محمية طبيعية وتوقيف كل التراخيص الممنوحة عشوائياً، ليصبح في عهدة وزارة البيئة والزراعة».

يتحدّث أحد سكان تل أندي إلى «الأخبار» عن «مؤامرة لتيبيس الشجر المعمّر لتوفير مبرّر لقطعه». أما عن طريقة التيبيس فهي تتمّ «عن طريق سموم تُخلط بالمياه وتُسقى للجذور، ما يؤدي إلى يباس منهجي للأشجار، التي تموت من الداخل ببطء على مدى أشهر، من دون أن يظهر اليباس خارجياً». وعليه، فإن الشجر المعمّر الذي سوف يُقطع لا يمكن تعويضه، كون التربة هناك باتت لا تصلح لزراعة الأشجار مجدداً.

نفق تل أندي تمت زراعته عام 1960، طوله 3 كلم، يحتوي على 6000 شجرة كينا على جانبي الطريق، أما ارتفاعه فيقرب من الـ40 متراً، ويتراوح عرض الجذع بين المتر ونصف والمترين، ما فتح جشع التجار عليه، إذ إن سعر طن الحطب الواحد وصل إلى قرابة الـ3 ملايين ليرة. وفي عملية حسابية بسيطة: فإن الشجرة الواحدة تعادل ما مجموعه الـ10 طن من الحطب في حال تم قطعها خضراء، أما الشجر اليابس فالشجرة الواحدة تعطي ما بين 3 و4 أطنان من الحطب.

نفق تل أندي (الأخبار)

إعلانات رسمية

إعلان

من أمانة السجل العقاري في راشيا طلب محمد سيف الدين القادري للمورث خليل عساف الحداد شهادة قيد بدل عن ضائع بالعقار 201 عين عطا.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً أمين السجل العقاري في راشيا نور أبو سعد

استراحة

كلمات متقاطعة 4137

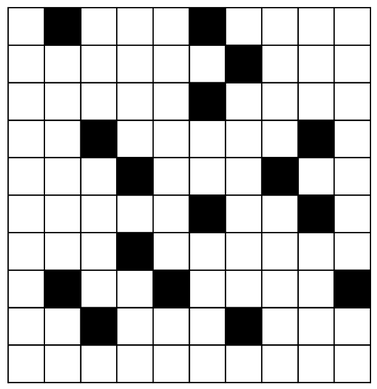

أفقيا

1- نص محوّل الى اللغة العربية – إسم شاع بين العرب وحملته عدة قبائل – 2- سلاح قديم – لباس ياباني – 3- من الحشرات – مدينة إيطالية – 4- رئيس روسي – عمر – 5- والدة – أرض غير مزروعة – قاتل متسلسل إنكليزي عُرف بالسفاح – 6- متشابهان – يهدموا الحائط – 7- نهر لبناني – حِص – 8- من أسماء السيف – نظير – 9- طائر الشؤم – إكتمل رأيه – حديقة حيوانات بالأجنبية – 10- ترعة عربية

عمودياً

1- معركة إنتصر فيها سليم الأول على المماليك – من الحشرات – 2- شيّد – إله مصري – 3- أراضٍ واسعة – خاصمهما – 4- عائلة روائي الماني راحل – 5- إثنان بالأجنبية – بلدة لبنانية في قضاء عكار – 6- منطقة روسية باردة – قطعة أرض محددة – 7- عاصمة عربية – نقيض سغد – 8- طابق في بناية – حشرة تُعرف بصرّار الليل – 9- نسبة الى مواطن من بلد أوروبي – هيئة الملابس – 10- ملك إسباني

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- علي بابا – حج – 2- موسوليني – 3- رم – بوليفار – 4- دياز – سوس – 5- أفراح – اردو – 6- خزّانات – اين – 7- وعق – توطن – 8- ري – فر – بي – 9- روسيّون – 10- نزار قباني

عمودياً

1- عمر فاخوري – 2- لوم – فزعي – 3- يس – درّاق – رز – 4- بوبيان – بوا – 5- الواحات – سر – 6- بيلز – توفيق – 7- اني – طروب – 8- يفشران – نا – 9- اودي – 10- جفرسون سيتي

sudoku 4137

9					2	3		
	3	4		5			8	9
	6	8	3				2	4
		7	5	1				3
		3		9				7
8					2			
	1		9	4			7	
4					1			2
	9				3		1	

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4136

7	1	9	4	5	2	8	6	3
5	3	8	7	1	6	9	2	4
6	2	4	3	8	9	5	7	1
3	5	7	9	6	1	2	4	8
2	8	1	5	7	4	6	3	9
9	4	6	8	2	3	7	1	5
1	7	5	2	3	8	4	9	6
8	9	3	6	4	7	1	5	2
4	6	2	1	9	5	3	8	7

مشاهير 4137

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

شاعرة أميركية (1893-1967). إشتهرت بحوارها الطريف ونقدها الفنّي. تعبّر أشعارها عن مشاعر هزلية ونظرة تشاؤمية

1+2+3+4 = أزهار ■ 5+6+7+8 = ملابس ■ 9+10+11+12 = بيت المؤن

حل الشبكة الماضية: **شحادة الخوري**

إعداد
نعوم مسعود

تقرير

آلية الشراء المشترك للأدوية: «إنجاز» في وقت غير مناسب؟

راجانا حميّة

بالنبابة عن كلّ الصناديق الضامنة، تعتزم وزارة الصحة العامة، بوصفها صندوقاً ضامناً ـ إطلاق آلية الشراء المشترك للأدوية، بعدما ذُلّلت كلّ العقبات التي كانت تواجهها ولم يعد ينقصها إلا بعض التفاصيل.

تعوّل وزارة الصحة على هذه الخطوة، بالنسبة إليها هي انتصار «ثلاثيّ الأبعاد»، يأتي في مقدّمها قوة التفاوض. فالوزارة هنا لا تفاوض عن نفسها، وإنما عن مجموعة من الصناديق الضامنة، ما سينعكس على لائحة الأسعار التي يمكن أن تحصّلها والتي يتوقّع من خلالها الحصول على تخفيضات أكبر بكثير مما قد يُعطى لجهة واحدة. وينتج عن ذلك انتفاء أفضلية صندوق على آخر، بحيث يصبح الكلّ سواسية، سواء أكان بالنسبة لعروض الأسعار التي تصبح واحدة، أم في ما يمكن الحصول عليه تالياً من أدوية.

يضاف إلى ذلك هدف آخر يتعلق بآلية انتظام الدواء ومراقبته مع إلحاق آلية الشراء المشترك بالمراقبة التي تعني بحسب المصادر «وصول الدواء المناسب إلى المريض المناسب»، مع حصر تسليم الأدوية (المستعصية والسرطانية) للمريض في المكان (المستشفى غالباً) الذي يتلقّى فيه العلاج، عن طريق ربط هذه الأمكنة بنظام تتبّع إلكتروني.

نظرياً، تُعدّ هذه الآلية أفضل ما يمكن تحصيله في قطاع الدواء، فمطلب «ضمّ» الصناديق ضمن آلية واحدة في ما يتعلق بشراء الأدوية يشكل أساسي هو مطلب مزمن، وإن لم ينلْ سابقاً توافق الكلّ لاعتبارات مختلفة ومتعلقة بكل صندوق على حدة. لكن، في الشقّ العملي، هذه الخطوة ليست سوى أول الطريق، وما يأتي لاحقاً قد لا يكون على قدر التوقعات المعطاة لها، مع الأخذ في الحسبان أنها تأتي في عين عاصفة مالية واقتصادية لا يبدو أنها ستهدأ قريباً.

بحسب المتابعين للخطوة، هناك أمران أساسيان قد يعيقانها، أولهما مرتبط بمناقصات شراء الأدوية، وثانيهما الاتكال في الشراء على شركات دواء لها أصلاً في ذمة الوزارة أموال معلّقة منذ بداية الدعم.

بالنسبة إلى العائق الأول، فعدا التوقيت الذي قد يستغرقه إعداد مناقصة مشتركة، ثمة عقدة تتعلق بمن سيفوز بها. ذلك أن الفوز لا يعني توفر الدواء بالمطلق، بل سيبقى جزء منه مفقوداً. وتوضح مصادر السيناريو الذي يمكن أن يحصل «إذا افترضنا أن تركيبة كيميائية واحدة تستوردها شركتان أو أكثر، ثم رست المناقصة على واحدة منهما، فهذا يعني أن الثانية التي لم تفز ستتوقف عن استيراد هذه التركيبة لعدم قدرتها، بسبب رفع الدعم عنها، ولأنها لن تكون قادرة على تسويقها بالدولار في حال استوردتها». وهذا يطرح علامات استفهام عن قدرة الشركة الرابحة على تأمين التركيبة الكيميائية التي كانت تأتي عبر شركتين أو أكثر، وسدّ النقص الذي قد يخلّفه هذا الأمر؟ وهذا يعيدنا تالياً إلى الدوّامة نفسها: الارتهان لمصدر واحد، إذ إن توقف الشركات الأخرى التي لم تفز بالمناقصة عن استيراد التراكيب الكيميائية «سيؤدي إلى إقفال رموزها CODE لدى الشركات العالمية، وقد يكون منها رموز أدوية أساسية لأمراض مستعصية وسرطانية تستوردها هذه الشركات»، ما سيعدّ أزمة القطاع مع فقدان أدوية جديدة من السوق.

يضاف إلى ذلك، بند تحديد الأولويات، فبحسب قرار الشراء المشترك، لن يعود لكلّ جهة لائحة أولوياتها، وإنما سيتطلب الأمر توحيد اللوائح لمعرفة أيّ الأدوية سُدّد وأيّها ستخرج من الدعم. وهذا يؤثر في الوقت الذي سيستغرقه إعداد هذه اللائحة من جهة، كما في الإرباك الذي سيرافق هذه المرحلة من جهة ثانية، إضافة إلى «المخاطر الإضافية لدى الوكلاء والتي ستتجلّى في تحديد سوق الدواء مع بداية التطبيق».

أما العائق الثاني، فهو المتعلّق بفواتير الشركات العالقة التي لم تُدفع مسبقاً، فكيف ستتصرّف الشركات حيالها مع آلية الشراء الجديدة؟ هل ستكون الجهات الضامنة أمام مواجهة جديدة مع الشركات تحت عنوان جدولة المستحقات؟

في آخر المطاف، تطرح هذه الخطوة سؤالاً مهماً: هل هذا هو الوقت المناسب للمباشرة بهذه الآلية، خصوصاً أن الضمانات حتى اللحظة هي ثلاثة أشهر من الدعم التزم بها رئيس الحكومة نجيب ميقاتي بناءً على وعدٍ من حاكم مصرف لبنان؟

(هيثم الموسوي)

سيرة الحكم في لبنان في سيرة صائب سلام [9]

أسعد أبو خليك *

حديثنا هنا عن مذكّرات صائب سلام التي صدرت للتوّ في ثلاثة أجزاء بعنوان: «صائب سلام: أحداث وذكريات». وقلتُ من قبل إن الأجزاء الثلاثة هي يوميّات دوّنها صائب ونشرتها العائلة كما هي من دون تصحيح أو تنقيح أو تحرير، مع أنها تنقل صورة معبّرة عن مكنونات صائب سلام وتفكيره في محطات تاريخيّة هامة شارك هو في صنع بعضها.

سلفَ القول إن صائب سلام أغفلَ الحديث عن أهمّ مرحلة في تاريخه السياسي، ألا وهي آخر عهد له في رئاسة الحكومة بين عامي 1970 و1973. هو يعود إلى تلك الفترة لكن في الجزء الثالث من اليوميّات، إذ يقول فجأة إن الصحافي شكري نصرالله ساله في اتصال هاتفي بينهما عن تشكيل حكومة الشباب. يقول صائب إنه بحث في يومياته المدوّنة عن تلك الفترة ولم يجد شيئاً من ذلك: «لم أدوّن حرفاً من مجريات الأحداث في ذكرياتي» لكنه يقول إنه وجد شريطاً «مفرّغاً» عن تشكيل حكومة الشباب (ص. 1355، ج3). وعندما يذكر الصحافي نصرالله لا يذكر أنه سجّل معه مذكّراته، وهذا ما يزعمه نصرالله في كتابه «مذكّرات قبل أوانها» (هل أن نصرالله سجّل كما زعم مقابلات مذكّرات مع صائب أم لا، ولو فعل، لماذا لا يزال تمّام سلام يحفظها من دون نشرها؟ الجواب عن السؤال يبقى مع شكري نصرالله لأنه هو الذي استفاض في الحديث عن مشروع تسجيله لمذكّرات صائب سلام في جنيف، وأن صائب كان يتكفّل بإقامته في المدينة لتأمين المقابلات اليوميّة بينهما).

يبورِدُ صائب في الجزء الثالث مقطعاً عن حكومة الشباب. حكومة الشباب سبقت الحرب وبعض سياساتها ساهمت في إشعال الحرب، واستقالة صائب من الحكومة سبقت اشتباكات أيار 1973 بين الجيش والمقاومة الفلسطينيّة (وكان الجيش وميليشيات اليمين مسؤولين عن اشتعال تلك الحرب التمريضيّة للحرب الأهليّة). أهم ما غفل صائب عن ذكره عن تلك الحقبة: 1) أن الملك فيصل زار لبنان في عام 1971 والتقى بصائب وأهداه—كما أهدى كامل الأسعد — «خنجراً مرصّعاً بالأحجار الكريمة». وصائب حريص على ذكر كل اتصال بينه وبين أي ديبلوماسي سعودي فكيف لا يذكر خبر اجتماعه أكثر من مرّة بالملك فيصل في بيروت؟ («الحياة»، 30 أيلول 1971). 2) قد يكون من أخطر ما تتحمّل حكومة سلام. فرنجيّة مسؤوليّته هو خضوعها لقرار أميركي بمنع لبنان من قبول هبة عربيّة لاقتناء الجيش اللبناني أسلحة رادعة ضد الطائرات الإسرائيليّة التي كانت تقصف أسبوعيّاً في لبنان (راجع الوثائق الأميركية فرنجيّة مسؤوليّته هو خضوعها لقرار أميركي بمنع لبنان من قبول هبة عربيّة لاقتناء الجيش اللبناني أسلحة رادعة ضد الطائرات الإسرائيليّة التي كانت تقصف أسبوعيّاً في لبنان (راجع الوثائق الأميركية التي أفرج عنها كما أن جيمس ستوكر في كتابه «حيّز التدخّل» يذكر مواقف مماثلة من الستينيّات—لبنان عريق في رفض حكوماته الدفاع عن البلد بوجه إسرائيل). وحكومة لبنان رفضت أيضاً في تلك الحقبة هبة تسلّح سوفياتيّة. أي أن سلام وعهد فرنجيّة مسؤولان عما لحق الجنوب ولبنان من خراب ودمار. 3) وقف صائب سلام وبقوّة (ومعه تجّار الأدوية) بوجه أفضل تجربة لوزير في مكافحة الفساد، وهي تجربة وزير الصحّة أميل بيطار الذي حاول القضاء على احتكار الأدوية لتوفير الدواء للفقراء والمعوزين (يقول سلام مع واحد من أفضل وزراء لبنان في تاريخه المعاصر: «بينما كانت غلطة كبيرة إدخال أميل بيطار العروبي فقط لأنه عاد في ما بعد وانفصل— لأسباب لا علاقة لها بالعروبة—عن الكتائب والقوات. ويتوقّف صائب عند مفارقة هامة عن اشتعال الحرب: يقول إن الزعماء المسيحيّين كانوا يعوّلون على الشيعة في معاركهم ضد المسلمين السنة فيما أن المفاجأة في الحرب كانت في انخراط الشيعة القوي في المعارك ضد الكتائب والجيش والأحرار (ص. 651، ج2. كم كان يحلو لزعماء الموارنة التذكير بأن نائب رئيس حزب الأحرار، كاظم الخليل، كان شيعياً. من أولى علامات الحرب في الجنوب اللبناني احتلال ثوار لبنانيّين يساريّين لمزارع كاظم الخليل).

يعتب صائب كثيراً على نظام القذافي الذي كان قد أقام علاقات وطيدة معه في أوائل السبعينيّات. يقول إن القذافي وعده بتمويل فرنجيّة «وزبانية زغرتا» أفسدوا سير الحكم وعطّلوه (ص. 1344، ج 3). وكيف يربط سلام بين استتباب الأمن في حكومته وهو استقال اعتراضاً على عمليّة كوماندوس في قلب بيروت وبتواطؤ شبه مؤكد من قائد الجيش، إسكندر غانم؟ 5) يتضح من سرد صائب كم أن دور جورج أبو عضل كان كبيراً في تشكيل الحكومة وفي تقديم المشورة لسليمان فرنجية. هو الرجل نفسه الذي كان سليمان فرنجيّة يريد تعيينه وزيراً قبل أن يصله موفد مصري رفيع يحذّره من أن أبو عضل كان متعاملاً مع إسرائيل.

وينسب صائب إلى نهاد بويز (النائب الكتلوي الرصين) أن «كميل نوفل بدأ يحضر إلى بيروت بكثرة من أجل تعزيز الروابط بين فرنجية والأميركيين» (ص. 632، ج2). هذا مستبعد جداً لأن نوفل كان مترجماً معتمداً في وزارة الخارجية ولم يكن من نطاق صلاحيّاته القيام بمبادرات ديبلوماسية من هذا النوع (لي قريباً حديث آخر عن نوفل الذي تقاعد مبكراً، في عام 1977، من وزارة الخارجية لأسباب سيطول شرحها). ويبلغ غرور صائب أقصاه عندما يقول: «لم أحدّث أميركيّاً ذا مكانة بصراحة ومنطق إلا وتغيّرت آراؤه أو أضحت أكثر اعتدالاً» (ص. 633، ج2). لكن صائب اعترف أنه التقى بإليانور روزفلت وروونالد ريغان وجوزيف سيسكو وغيرهم كثيرين لكن سياساتهم بقيت متطرّفة صهيونيّاً بعد تعرّضهم لحجج ومنطق صائب. وعندما حضر حفل تنصيب البطريرك خريش تأسف لحال المسلمين: «كل هذه مظاهر القوة والجبروت، فأين المسلمون المساكين من كل هذا؟» (ص. 636، ج2). أمّا الجمهور المسيحي في الحفل فقد استقبل صائب، «كالعادة»، حسب ما يقول، «بالتصفيق الشديد والهتافات» (ص. 636، ج2). ويذكر صائب عن ضلوع سليمان فرنجية في منح شركة «بترومين» الاحتكارية (لصاحبها كميل شمعون) «رصيفاً كبيراً وأساسياً في المرفأ» (ص. 636، ج2). وهذا أمر مهم لأن الاحتجاجات ضد شركة شمعون كانت من شرارات الحرب الأهلية وهي تكشف عن غرق كميل شمعون في الفساد، وإن كان بعض الشباب اللبناني الساذج (وغير العليم) لا يزال يتغنّى بعهده على مواقع التواصل الاجتماعي. ويذكر صائب مكاسب شمعون من تجارة السلاح وركضه «الدائم وراء المنافع المالية» (ص. 637، ج2). ولماذا يتستّر صائب، مثل كل زعماء لبنان، على سلاطة لسان وبذاءة عبد الحليم خدّام الذي كان يتكلّم باقذع العبارات بوجه زعماء لبنان. يكتفي صائب بالقول إن خدّام يتكلّم «بكلام لا يتفوّه به رجل دولة» (ص. 656، ج2). ويستحق خدّام صفة رجل الدولة بقدر ما يستحقّ صائب صفة التواضع.

ولا ينفك صائب في اليوميات، كما في تصريحاته في سنوات الحرب، عن النطق باسم «مشاعر المسلمين». فهو يتصل بباسر عرفات ويعترض على زيارته لكمال جنبلاط ويقول له إنه يسيء «إلى مشاعر المسلمين» (ص. 641، ج2). ويتحدّث صائب ببعض الصراحة عن سياق الحرب وبعض أسباب اشتعالها. يذكر في هذا السياق تعصّب وجهل وغرور واستخفاف سليمان فرنجية بأمور البلد ويقول إن حملات بيار الجميل ضد المقاومة الفلسطينية كانت «بالاتفاق مع سليمان فرنجية، بل بتحريض خفي منه» (ص. 651، ج2). وهذه الحقيقة تتضارب مع إصرار محور الممانعة على ربط فرنجية بالخط العروبي فقط لأنه عاد في ما بعد وانفصل— لأسباب لا علاقة لها بالعروبة—عن الكتائب والقوات. ويتوقّف صائب عند مفارقة هامة عن اشتعال الحرب: يقول إن الزعماء المسيحيّين كانوا يعوّلون على الشيعة في معاركهم ضد المسلمين السنة فيما أن المفاجأة في الحرب كانت في انخراط الشيعة القوي في المعارك ضد الكتائب والجيش والأحرار (ص. 651، ج2. كم كان يحلو لزعماء الموارنة التذكير بأن نائب رئيس حزب الأحرار، كاظم الخليل، كان شيعياً. من أولى علامات الحرب في الجنوب اللبناني احتلال ثوار لبنانيّين يساريّين لمزارع كاظم الخليل).

يعتب صائب كثيراً على نظام القذافي الذي كان قد أقام علاقات وطيدة معه في أوائل السبعينيّات. يقول إن القذافي وعده بتمويل مشروع إنمائي «لكن القذافي وجماعته ظلّوا يماطلون ويكذبون ويصرفون الملايين العديدة في لبنان على حسابه. وللتخريب وإثارة الاضطرابات، مستنكفين عن مدّ المقاصد بما سيُنفق في سبيل الخير» (ص. 656، ج2). اليوبل الذي يعد صائب بالتمويل ولا يفي. فإنه سيقتص منه في يوميّاته كما اقتصّ من آل سعود. والرهاب الشيوعي رافق صائب في سنواته. فتراه يحكم عند اندلاع الحرب أن «أكبر العوامل في الاضطرابات الأخيرة كلّها كان التخطيط الشيوعي المتستّر بكمال جنبلاط والمقاومة الفلسطينيّة» (ص. 663، ج2). الشيوعيّون لم يكونوا على استعداد أبداً للحرب (وهذه تؤخذ عليهم) كما أنهم أمنوا للنهاية بجدوى النضال البرلماني. إن إعداد الكتائب والأحرار واقتناءهم للسلاح وتدريب ميليشيات لم يكن لها مثيل في أوساط الشيوعيّين أو القوميّين العرب. على العكس. هؤلاء أمنوا بأن الحلّ آتٍ لا محالة (لكن صائب بغير تقييمه للحرب فيصل إلى خلاصة في سنواته الأخيرة أن بيار الجميّل مسؤول بصورة كبيرة عن الحرب الأهليّة). ويبدي استغرابه لتعاطي المفتي مع الشيوعيين ويقول: «الرأي العام المسلم (الذي يعبّر صائب عنه بطبيعة الحال) لم يفهم كيف يتفق مفتي المسلمين مع الشيوعيّين ويتعاطى معهم» (ص. 675، ج 2). لكنه يعترف أن الاتفاق بين الشيوعيين والمفتي كان «اتفاقاً جيداً» إثر حدوث نزاع في منطقة الطريق الجديدة بين الشيوعيّين وبعض شباب المنطقة.

وممتع أن صائب لا يوفّر حلفاءه (هل كان لديه من حلفاء نسأل بعد نشر الكتاب؟) من النقد. يقول عن حليفه في «الوسط» كامل الأسعد، الذي ساهم في إيصاله إلى منصب الرئاسة الثانية بعد فوز فرنجيّة أنه كان «أمضى معظم شهور المحنة يتنقّل بين مدينتيْ كان ونيس» (ص. 668، ج2). وحليفه المستجد رشيد كرامي يقول عنه: «غريب أمر كرامي» (ص. 669، ج2). إذ هو تغيّب عن اجتماعيْن للتحالف الثلاثي الذي ضمّه مع إده وسلام. وعندما قرّر سلام وإده في عام 1975 أنه حان وقت استقالة حكومة كرامي تملّص كرامي ثم ثار كرامي في مكالمة هاتفيّة مع صائب فما كان من صائب إلا أن وضع «سماعة الهاتف مكانها... غاضباً» (ص.670، ج2). ويعترف أنه كان وراء فكرة التقارب بين شمعون وياسر عرفات (كان أبو حسن سلامة وحسيب الصباغ ووليد الخالدي من صلات الوصل) لكنه عاد على عرفات «شططه في تدليل كميل شمعون» (ص. 670، ج2). ويورد صائب بعض الأفعال الإجرامية التي دشّنها حزب الكتائب في الحرب، ومنها احتجاز النساء المسلمات والفلسطينيّات، ما استدعى تعليقاً من ريمون إده: «كيف أن الأمر وصل بالكتائب إلى الاعتداء على النساء» (ص: 672، ج2).

وزاره السفير علي الشاعر (الذي أدار عمل المخابرات السعودية في لبنان قبل أن يُعيّن سفيراً) وعرض عليه مقالاً نُشر في «السفير» وفيه اتهام لصائب بأنه شنّ حملة ضد الشيوعيّة «فقط» بعد عودته من زيارة السعودية «تسديداً لفواتير قبضتها هناك» (ص. 675). وقال الشاعر إنه أرسل نسخاً عن المقالة إلى الأمير فهد والأمير سلطان. وأبلغ صائب الشاعر مدى استيائه من الزيارة (لم يفصح لنا الأسباب لكن كالعادة قد تكون متعلّقة بشحّ في التمويل. وأطلع سلام الشاعر على نسخة من كتاب كان قد أرسله إلى الأمير فهد، واستاء الشاعر بدوره واعترض سلام أن المسؤولين في المملكة يأخذون معلوماتهم «من أمثال منير العجلاني وجبران شامية وصلاح الدين المنجد» (ص. 675، ج2). وذكر الشاعر، من دون شرح من صائب، أن تبديلاً لحقّ بمواقف المملكة نتيجة اتصالات بينهم وبين فرنجية وشمعون. وقال الشاعر إن فرنجية تدخّل عند الملك خالد لمنع تعيين الشاعر سفيراً.

وبحماس شديد، يذكر صائب الميليشيا التي أسّسها باسم «رؤاد الإصلاح» (وتحمل اسم «المقاومة الشعبيّة» على طريقة الاسمين في «حركة الناصريّين المستقلّين: المرابطون») والتي غفل هو وتمام سلام عن ذكرها، بعدما أرادا الفصل بين عملها السياسي والعمل الميليشياوي الذي طبع مسار الكثير من الزعماء (عندما كان بخوض تمام سلام الانتخابات النيابيّة حليفاً لسليم الحص كان يكثر في التحدّث عن «الأوادم» خلافاً لـ«الزعران» وذلك في ذمّ المرشحين المنافسين ذوي السير الميليشيويّة). وكانت ميليشيا صائب مدعومة من حركة «فتح» فيما كانت ميليشيا كامل الأسعد مدعومة من «الصاعقة» والنظام السوري. وأراد صائب أن يصل عدد قوّة مقاومته الشعبيّة إلى 1020 عنصراً وأوكل إلى عميد متقاعد (منير حمدان) قيادتها العسكريّة. لكن التمويل كان مشكلة عند صائب في مسألة ميليشياه: ويمكن وصف يوميّات صائب بأنها تعبير عن سنوات من التبرّم من شحّ التمويل. إن للمقاصد أو للميليشيا أو لمشاريع «تنمويّة» يضطلع بها صائب. وفي أول عام 1975 أرسل صائب ابنه تمّام إلى السعودية «محاولاً الحصول على بعض الدعم منها» لأن صائب لم يعد قادراً— حسب وصفه—على «الصمود في بيروت أمام الضغط الشيوعي الذي تؤيّده المقاومة وما يتمتّع به من إمكانات ضخمة من مال وسلاح وإعلام» (ص. 663، ج2). ولا يبالغ صائب في الحديث عن مصادر تمويل هائلة كانت بحوزة الحركة الوطنيّة، ومن عدة دول خصوصاً أن هناك من يحاول اليوم نسب كل أسباب نجاح حزب الله العسكري إلى الدعم الذي يصله من... دولة واحدة واقعة تحت حصار خانق. وصائب يشكو أن موارده المالية الشخصيّة «نفدت أو كادت». لم يفدنا صائب بنتائج زيارة تمّام التمويليّة إلى الرياض.

لكن لم يبدُ أن زيارة تمّام انعشت آمال صائب، إذ هو اتصل بعدد «من أثرياء المسلمين» واجتمع مع عدنان القصّار ووفيق النصولي ورفيق غندور ونزيه قاسم وطلب صائب منهم (وصائب يمون على أثرياء المسلمين كما يظهر في بداية الحديث) تعزيز ميليشيا «رؤاد الإصلاح» «للوقوف بوجه العصابات التي راحت تعيث فساداً» (ص. 677، ج2). حدّد صائب لغندور وقاسم دفع مبلغ 200 ألف ليرة «لفتح الباب أمام حماسة بقيّة الأثرياء». استمهلاه يومين ثم أبلغا صائب عبر تمّام أنهما قرّرا أن كل واحد منهما سيتبرّع بـ25 ألف ليرة. عندها، قال صائب لعامل السنترال عنده إنه سيلغي موعداً له معهم و«قرّرتُ أن أترك لشباب الأحياء حريّة التصرّف». ماذا يعني صائب هنا؟ هل يهدّد الأثرياء بالشوارع بسبب تخلّفهم عن دفع المال اللازم له؟ أليس هذا نموذجاً عن الخوّات التي كانت المرابطون وغيرها من الميليشيات تفرضها؟ وصائب على قناعة أن الأثرياء كانوا مستعدّين للاستجابة لطلبه لكنّ «عدنان القصّار أقنعهم بغير ذلك» (ص. 677، ج2). كعادته، لا يقدّم صائب دليلاً على ما يقول من اتهام.

وبناءً على اجتماع لصائب مع «الوزير المفوّض في سفارة الولايات المتحدة جورج لامبركيس» قرّر صائب على عجالة لكن بقطع المؤامرة الأميركيّة بناءً على اجتماع واحد مع لامبركيس! هل أنه يمكن لديبلوماسي أميركي أن يعترف أمام زعيم محلّي: دعني أخبرك، صائب بك، هناك مؤامرة أميركيّة ضد لبنان وأنا الأداة المنفّذة في لبنان. 2) لامبركيس كان القائم بالأعمال لكن إسباغ صفة «الوزير المفوّض» كان إمعاناً في تكريم صائب لنفسه لأنه لا يجتمع مع الصغار. 3) لامبركيس هذا ترك لنا مذكرات شفهية في مكتبة الكونغرس ولقد قرأتُها وفيها نجد: هو تحدّث عن تجربته في لبنان وذكر بالأسماء عدداً من المسؤولين اللبنانيّين لكنه لم يذكر صائب بينهم. ولا يبدو أن الرجل كان ضليعاً بشؤون لبنان مع أنه كتب أطروحة الدكتوراه عن علاقة الولايات المتحدة مع لبنان. هو مثلاً يقول إن ريمون إده هو روم أرثوذكس ويقول إن إلياس سركيس كان وزيراً للاقتصاد قبل أن يصبح رئيساً للجمهوريّة. ويقول هذا الديبلوماسي عن اللبنانيّين إنهم «كانوا معروفين بأنهم يغتصبون ويقتلون النساء الأوروبيّات». ومن المفيد في شهادة لامبركيس أنه يتحدّث بصراحة عن خطف ومقتل فرنسيس ميلوي في عام 1976. خلافاً لكل النظريّات والكلام السياسي يقول لامبركيس إنه عرف سائق السفير اللبناني زهير مغربي، ويقول إنه كان دائم الشكوى في طلب المال. ويتهمه لامبركيس بتدبير الخطف من دون أن يكون مسؤولاً عن القتل (وهو كان ضحيّة للخطف والقتل).

ملاحظة: بالنسبة إلى ما أورده صائب في الجزء الثاني من أن وليد الخالدي طلب منه أن يبلغ السفير الأميركي في بيروت أن منظمة التحرير ستسعى لمنع إجراح إدارة فورد في الأمم المتحدة، سألت المؤرّخ الفلسطيني عن ذلك وهو لا يذكر تلك الحادثة ويستبعدها، خصوصاً أنه كان لمنظمة التحرير أقنية غير صائب ليُرسل رسائل إلى الإدارة الأميركيّة (وكان صائب خارج الحكم في عام 1974).

ملاحظة ثانية: حول ما أوردته عن وثيقة أميركيّة فيها نص حديث بين ديبلوماسيّين أميركيّين وزكريا محي الدين، سمعتُ من الصديق المؤرّخ محمود حدّاد وهو لا يذكر حديثنا عن ذلك (والذي ذكرتُه في الحلقة الماضية) وأنني أرسلتُ إليه يوماً رابطاً بالوثيقة التي اختفت في ما بعد عن موقع الأرشيف الأميركي المُفرج عنه. لنقل إن ذلك تضارب في الذاكرة، ليس أكثر.

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

مع زوجته تميمة مردم بك (بسام لحود - برستيج)

> صائب حريص على ذكر كل اتصال بينه وبين أي ديبلوماسي سعودي فكيف لا يذكر خبر اجتماعه أكثر من مرّة بالملك فيصل في بيروت؟

تقادم أوسلو وتجدُّد أزمة الحركة الوطنية الفلسطينية

حسين قاسم *

نسمع كثيراً من القوى الفلسطينية وصفاً لاتفاق أوسلو ومشروعه بأنه بات متقادماً. مثالاً على ذلك: جاء في البرنامج السياسي الذي أقرته «الجبهة الشعبية» في مؤتمرها الثامن الأخير «أن خيار أوسلو بات اتفاقاً متقادماً تجاوزه الزمن». أرى هذا الوصف ملتبساً، وحمّال أوجه، ولا يعطي طريقاً واضحاً للتعامل مع هذا الاتفاق. فالتقادم يعني أنه أصبح قديماً وعفى عليه الزمن أو مُنتهي الصلاحية، لكنّه يظلّ قائماً ويحتل حيّزاً في الواقع، ما دام لم يُلغَ أو يُستبدل بآخر. كما لا يعني تقادم الشيء، وعدم صلاحيته أنه تم التخلّي عنه وبات خارج الخدمة؛ فكم من تاجر يبيع بضاعة منتهية الصلاحية، وكم من مستهلك يخاطر باستعمالها!

ينطلق المنادون بتقادم أوسلو من أن الاتفاقيّات الناتجة عنه لم تُطبَّق، ومن أنها لم تؤدِّ، بنهاية المرحلة الانتقالية، إلى الحل النهائي، ومن أنّ الوقائع التي يكرّسها الطرف الصهيوني على الأرض تنسف أية إمكانية لهذا الحل. يبني هؤلاء وجهة نظرهم على أساس نصوص الاتفاقيات وليس على جوهر ما تمثّله في الواقع العملي. وهنا لا بد من أن نسأل أنفسنا السؤال التالي: هل أبرم الكيان الصهيوني، وهو الطرف الأقوى في معادلة أوسلو، الاتفاقيات بنيّة السير نحو حلّ دائم للصراع الدائر في فلسطين على مدى أكثر من قرن؟ أم أنه كان يرى فيها فرصة لاحتواء عدوّه، وتغيير نمطِ الصراع وعناصره وأدواته، ليتناسب أكثر مع الرؤية الصهيونية والأميركية له؟ فمُجرَّد أن يكون إعلان المبادئ في أوسلو قد تركَ جميع عناصر الصراع الرئيسية للتفاوض المستقبلي، يجعلنا متيقّنين أنّ ما تمّ حلّه لا يتعدى سوى إزالة العوائق من أمام التفاوض المباشر بين الطرفين، ونقل الصراع من واقع الاشتباك عن بعد إلى الاشتباك المتلاحم والمتداخل. وتحت عنوان مفاوضات الحل النهائي، أبقى الاتفاق الكيانَ الصهيوني حراً من أي قيدٍ مستقبليٍّ، وفي المقابل، وضع مصير الفلسطيني رهينة الموافقة الإسرائيلية. هذا عدا أنّه قد أنشأ سلطةً خاضعة كلياً للاحتلال في كلّ شؤونها، بما فيها الاقتصادية والخدماتية والأمنية والمصادر المالية. وبنتيجة ذلك، باتت مقوّمات حياة الفلسطيني رهينة بيد عدوّه، وأدى هذا إلى انعكاسات اجتماعية خطيرة أهمها، ظهور فئة اجتماعية وازنة ترتبط مصالحها مع الاحتلال. وتحوّلت الضفة الغربية وقطاع غزة (رغم انسحاب قوات الاحتلال منه) إلى سجن كبير يُدار، عموماً، بحسب شروط أوسلو. خلاصة القول، إن المعنى الحقيقي لأوسلو لا علاقةَ له بحل الصراع العربي-الصهيوني في شقّه الفلسطيني وإنما بنقله من شكلٍ إلى آخر ليناسب الاحتلال أكثر. وفي ظل تكريس وقائع صار من الصعب تجاوزها، مثل السلطة وملحقاتها، التي أصبحت جزءاً من الحياة اليومية الفلسطينية في الضفة والقطاع، كما لم يسلم فلسطينيّو الخارج من آثارها السلبية كذلك، لقد أصبح أوسلو واقعاً مُعاشاً، ولا نستطيع أن نعتبر أن الزمن قد عفى عليه. إنه موجودٌ في تفاصيل حياتنا وعلينا أن نواجه الحقيقة برفضه قولاً وعملاً، لا بالتأقلم معه. فالمواجهة السليمة للمرض لا تكون بالاكتفاء بمعالجة عوارضه، بل بالتوجّه نحو المرض ذاته، والعمل على إيجاد الوصفة المناسبة التي يمكنها القضاء عليه.

تقادم أوسلو والسلطة الفلسطينية

السلطة الفلسطينية هي أهمّ منتج لأوسلو. لذلك، يمكن اعتبار طريقة التعاطي مع السلطة هي أهم مؤشّر لحقيقة الموقف من أوسلو. فالانخراط في السلطة ومؤسّساتها يُعتبر قبولاً بأوسلو أو بالحد الأدنى رضوخاً لها. ومعارضة خيار أوسلو، باعتباره يضرب الحقوق الفلسطينية ويقوّضها، تقتضي استنباط أدوات ووسائل نضالية لا تخضع لشروط هذا الخيار ولا يمكن تجييرها لصالحه. السلطة بحكم نشأتها وتكوينها ووظيفتها فاقدة للاستقلالية، لذلك رفض الكيان الصهيوني، رفضاً قاطعاً، أن يكون اسمها «السلطة الوطنية الفلسطينية»، ما اضطر الطرف الفلسطيني للتنازل عن هذه التسمية، ولقبول شطب كلمة الوطنية ليصبح اسمها الرسمي «السلطة الفلسطينية». لم يكن الرفض الإسرائيلي اعتباطياً أو شكلياً، بل كان نابعاً من موقفٍ مسبق بشأن المستقبل الفلسطيني. فكلمة وطني (national) تعني أن الشعب يتمتع بالحق الكامل في تقرير مصيره، بما في ذلك الدولة المستقلّة الكاملة السيادة، وهذا ما لا يمكن للكيان الصهيوني قبوله بأيّ حال من الأحوال.

كما بات معروفاً، فإنّ السلطة، بكل مؤسساتها التشريعية والتنفيذية والإدارية، لا يمكنها القيام بوظائفها الطبيعية، أو أن يكون معترفاً بها دولياً، إذا لم تكن ملتزمة بشروط أوسلو. ومن المعلوم أن المصادر المالية الأساسية للسلطة ليست ذاتية، وتأتي من المنح والقروض الغربية، ومن أموال المقاصة التي يجبيها الكيان الصهيوني لصالح السلطة، من الضرائب على الواردات الفلسطينية عبر المعابر والموانئ، وتلك التي تُجبى من فلسطينيي الضفة والقطاع العاملين في الكيان الصهيوني. ولا يتم الإفراج عن أموال المقاصة إلا إذا كانت سلطات الاحتلال راضية عن سلوك المسؤولين الفلسطينيين. فبدل أن يكون هذا المصدر المالي نقطة قوة للطرف الفلسطيني أصبح عامل ابتزاز بيد الكيان ونقطة ضعفٍ فلسطينية. كما أن كل سبل الحياة في نطاق السلطة مربوطة بمشيئة الكيان الصهيوني بما في ذلك الماء والكهرباء والاتصالات (قال أبو مازن في خطابه الأخير في الأمم المتحدة أن إسرائيل تستولي حتى على مياه الأمطار التي تسقط على أراضي السلطة من دون أي رادع). خلاصة القول، إن السلطة الفلسطينية بحكم نشأتها، وكذلك ظروف وشروط تسييرها لا يمكن إلا أن تكون فاقدة للاستقلالية بغض النظر عن من يكون في سدة الحكم.

يُستنتَج ممّا سبق، أن الجمع بين معارضة خيار أوسلو والمشاركة في المؤسسات الناتجة عنه مهمّة مستحيلة. وأرى أن مشاركة غالبية القوى المعارضة لأوسلو في السلطة خطأ عظيم. لا بل هو خطيئة. إنّ الدليل الأكبر على هذا هو ما جرى بعد حصول حركة حماس على الغالبية في المجلس التشريعي؛ فلا هي استطاعت أن تحكم ولا أن تُقْدِم على إلغاء أوسلو. واليوم، وبعد مرور حوالى ثلاثين سنة على توقيع أوسلو، وبعد خيبة الأمل بالحصول على أيّ من أحلام الماضي، بما في ذلك حتى مُسمّى دولة، يلجأ البعض إلى مصطلح التقادم لوصف أوسلو هروباً من تحديد موقفٍ صريح من الاتفاق وملحقاته. إن معارضة أوسلو على هذا النحو ما هو إلا تكرار لتجربة المعارضة الفاشلة في منظمة التحرير الفلسطينية. إن الاكتفاء باعتبار أوسلو متقادماً لا يفي بضرورة إسقاطه ويُساهم في استمرار أزمة الحركة الوطنية الفلسطينية وتجدُّدها.

* كاتب وباحث فلسطيني

الحدث

حتى لا يبقى الرعب بلا نهاية... روسيا تقتحم المحظور

وليد شرارة

«نهاية مرعبة افضل من رعب بلا نهاية»: ملك فرنسي

الخطاب الذي ألقاه الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، في الكرملين خلال مراسم توقيع انضمام أربع مناطق جديدة لروسيا الاتحادية، هو الأهمّ والأشمل منذ اندلاع المواجهة الدولية بين بلاده، وبين حلف «الناتو» على الساحة الأوكرانية، لجهة توضيح خلفياتها التاريخية والجيوسياسية، وتحديد ما يمكن روسيا أن تقبل أو لا تقبل به. وفي غرفه، فإن هذه المواجهة تندرج في سياق الصراع الطويل الأمد بين غرب يجهد لتأبيد هيمنته الممتدّة منذ قرون على المعمورة، وتوْق بقيّة شعوبها إلى التحرُّر والانعتاق. وبعد استعراضه المخطّطات والمساعي الغربية، منذ عام 1991، لتفتيت روسيا وتحويلها إلى

> **بالنسبة إلى القيادة الروسية، أصبحت أراضيها تتعرّض للعدوان، ما يعني أن جميع الخيارات مطروحة**

شعوب متحاربة، والإجهاز على مرتكزات هويّتها وخصوصيّتها الحضارية، جزم بأن الأخيرة ستكسر الهجمة التي تتعرّض لها وستستعيد كافة أراضيها وتحمي شعبها بكلّ ما تملك من وسائل، وستسرّع عملية الانتقال إلى حقبة جديدة متعدّدة الأقطاب تحافظ فيها الدول على استقلالها وحقّها في التنمية.

اللافت هو أن هذا الخطاب جاء في مرحلة لم يعُد فيها المحلّلون الغربيون يتردّدون في الحديث عن تفكّك روسيا كأحد الاحتمالات الواردة في حال هزيمتها في الحرب. يرجّح بعضهم، كالخبير «المرموق» روبرت كابلان، رئيس قسم الجيوسياسة في «معهد أبحاث السياسة الخارجية»، في مقال بعنوان «روسيا، إيران ومخاطر ما بعد الأوتوقراطية» على موقع «بروجيكت سنديكيت»، هذا السيناريو بعد الهزيمة وانهيار «منظومة بوتين». ربّما لا يعي هؤلاء خطورة الترويج لمثل هذه «التوقّعات»، التي تعبّر عن آمالهم في الحقيقة، والتي تزيد من رسوخ قناعة القيادة الروسية بأن القوى الغربية تسعى إلى تدمير بلادها عبر تطويقها واحتوائها. إضافة إلى ذلك، فإن غاية الغرب الفعلية، بنظرها، لا تقتصر على إزاحة روسيا من الساحة الدولية كمنافس فقط، بل تفكيكها والسطو على ثرواتها الهائلة في ما بعد. هذه القناعة تفسّر انتقال فلاديمير بوتين من الدعوة إلى عالم خال من الأسلحة النووية في 10 حزيران 2009، خلال لقائه وزير الخارجية الألماني آنذاك، فرانك والتر شتاينماير، إلى تبنّي عقيدة عسكرية تُعيد إدخال السلاح النووي الاستراتيجي والتكتيكي كأداة ردع للتهديد المتمثّل بسعي «الدوائر الإمبريالية الغربية إلى السيطرة على المصادر الوطنية الروسية، وإلى تجريد روسيا من مخالبها وقوّتها لجعلها جائعة وعاجزة كالدب المقيّد»، كما صرح في 18 كانون الأول 2014. كشفت الحرب الأوكرانية حقيقة هذه المساعي الغربية للجميع. راغدة ضرغام، في مقال على موقع «ذي ناشيونال»، نسبت إلى خبير في مجلس الأمن القومي الأميركي، قوله إن «هزيمة روسيا ستفقد بكين شريكاً استراتيجياً على المستويين الميداني والنفسي. هي تعني أيضاً أن الصين ستُحرَم من المنطقة العازلة التي تشكّلها روسيا، وستقف مباشرة على الخطّ الأمامي في مواجهتها مع الولايات المتحدة». أيّاً تكن الحسابات التي تدفع واشنطن إلى العمل على تدمير روسيا، فإن الأخيرة لن تقف مكتوفة الأيدي. الإصرار الغربي على تهديد بقائها كافة، سيفتح أبواب الجحيم النووي.

نحو احتدام الحرب

خيال القادة الغربيين، وجيوش المستشارين والخبراء المحيطين بهم، محدود. هم لا يملكون، في المجابهة الراهنة مع روسيا، سوى نموذج نجاح واحد يسعون إلى تكراره، وهو النموذج الأفغاني، مع الاختلاف الكبير في الظروف الدولية والإقليمية المحيطة، وفي حجم الدعم المقدَّم إلى الوكلاء المحلّيين، أي المجاهدين الأفغان في الماضي، ونظام كييف حالياً. يفترضون أن ما أفضى في السابق إلى هزيمة الاتحاد السوفياتي، ومن ثم انهياره، أي الحرب بالوكالة، سيعطي نفس النتائج مع روسيا. الاختراق العسكري الناجح الذي أنجزته القوات الأوكرانية، أطلق العنان لتحليلاتهم حول الانهيار الروسي الوشيك. ما يغيب عن بال هؤلاء، هو الفارق الكبير بين موقف القيادة السوفياتية من أفغانستان، ناهيك عن الأوضاع العامة للاتحاد السوفياتي آنذاك، وبين موقف القيادة الروسية اليوم من حرب باتت تدور على أراضيها، بعد الاستفتاء الذي حصل في المناطق الأوكرانية الأربع، خيرسون وزابوروجيا ودونيتسك ولوغانسك، والذي سيقود إلى ضمّها إلى روسيا. رَفْض نظام كييف ورعاته الغربيين الاعتراف بنتائج الاستفتاء المذكور، لا يغيّر من الأمر في شيء. بالنسبة إلى القيادة الروسية، أصبحت أراضيها تتعرّض للعدوان، ما يعني أن جميع الخيارات مطروحة.

بالنسبة إلى مسار الصراع العسكري، يرى مايكل كلير، الخبير الأميركي في الشؤون الاستراتيجية، في مقال على موقع «ذا نايشن»، أن «ما يمكن أن نتوقّعه هو شنّ الأوكرانيين هجمات جديدة في الشمال والجنوب، بعد النجاحات التي حقّقوها في خاركيف، وتكثيف ضغوطهم على القوات الروسية في محيط خيرسون، في الجنوب. الروس، من جهتهم سيرسلون المزيد من القوات إلى الجبهة، وسيستخدمون تفوّقهم الناري لإلحاق أكبر الخسائر بالقوات الأوكرانية المهاجمة... ستسعى القيادة الأوكرانية إلى الحصول على صواريخ «أتاكمس» التي يصل مداها إلى 190 ميلاً، ما يتيح لها استهداف مواقع في جزيرة القرم وداخل الأراضي الروسية، وصواريخ «هيمارس» التي يصل مداها إلى 50 ميلاً، والتي لعبت دوراً هاماً في نجاحاتها العسكرية». يعتقد كلير أن تجاوب الإدارة الأميركية مع المطالب الأوكرانية، سيسعّر الحرب بشكل غير مسبوق، وسيحمل القيادة الروسية على اللجوء إلى المزيد من القوّة، عبر قصف المدن والبنى التحتية الأوكرانية بصواريخ «كروز». استمرار الغرب بضخّ السلاح والإشراف المباشر على إدارة المعركة، إذا ما أدّى إلى انتكاسات روسية جديدة، سينجم عنه ردٌّ أشدّ عنفاً من قِبَل موسكو. في خطابه، في الـ21 من أيلول، أعلن الرئيس الروسي - لمن يهمّه الأمر - أن بلاده «تمتلك أنواعاً مختلفة من الأسلحة، وبعضها أكثر تقدُّماً من تلك التي بحوزة دول الناتو. في مواجهة تهديد الوحدة الترابية لبلادنا، وللدفاع عن روسيا وشعبها، سنستخدم بكلّ تأكيد جميع منظومات السلاح المتوافرة لدينا. هذا ليس مزاحاً». وعلى عكس بقيّة القادة الغربيين الذين تعاملوا باستخفاف مع كلام الرئيس الروسي، نصحت المستشارة الألمانية السابقة، أنجيلا ميركل، والتي تُعرف بوتين جيّداً، هؤلاء القادة بأخذ ما يقوله على محمل الجدّ. لن تقبل القيادة الروسية بهزيمة على أراضيها، وللجوء إلى ضربة نووية تكتيكية، كخيار أخير، لصدّ المهاجمين، لم يُعَد مجرّد فرضيّة نظرية.

حافة الجحيم

ما الذي سيقوم به القادة الغربيون في حال إقدام روسيا على ضربة نووية تكتيكية في أوكرانيا؟ الشجب والإدانة، والمزيد من العقوبات وإجراءات العزل بحقّ روسيا، وشحنات ضخمة من الأسلحة المرسلة إلى أوكرانيا، هي جميعها خطوات متوقّعة من قِبَلهم. أمّا التورّط بحرب نووية مع روسيا لأجل الأوكرانيين، فمسألة فيها نظر. في مقابلة على موقع «دير شبيغل» في 20 أيار الماضي، اعتبر غراهام أليسون، المؤرّخ الأميركي البارز، ومساعد وزير الدفاع الأميركي في عهد كلينتون، ومؤلّف كتاب هامّ بعنوان «محكومون بالحرب: هل تستطيع أميركا والصين تجنّب فخ توسيديد؟»، أنه في حال استخدام روسيا لسلاح نووي تكتيكي في أوكرانيا، فإن «الناتو لن يرد بالمثل، أي باللجوء إلى أسلحة نووية تكتيكية. لكنك لا تستطيع ألا تقوم بعمل دراماتيكي. إذا استهدفنا مواقع انطلاق الصواريخ في روسيا، سيكون الأميركيون قد قتلوا روساً، وندخل في مسار مجابهة قابلة للتدحرج نحو ما هو أسوأ. هذا السيناريو جنوني إلى درجة أن غالبية الناس يفضّلون عدم التفكير به». الواقع هو أن السيناريو الجنوني هو تصوّر إمكانية وضع مخطّط يرمي في آخر المطاف إلى تدمير روسيا، موضع التنفيذ، وتخيّل أنها لن تتصدّى له بكل ما أوتيت من قوة. يعتقد «الغرب الجماعي» أنه سيفلح في إدامة هيمنته التاريخية المديدة، والقضاء على خصومه من خلال حروب بالوكالة واستراتيجيات الاحتواء وزعزعة الاستقرار، لكنّه يجد نفسه اليوم أمام مَن لا يخشى الصدام المباشر معه دفاعاً عن بقاء بلاده. الحرب على أراضي روسيا ليست مزاحاً، ونهايتها قد تكون مرعبة ليس للأوكران وحدهم!

الحرب على أراضي روسيا ليست مزاحاً، ونهايتها قد تكون مرعبة ليس للأوكران وحدهم (أ ف ب)

بوتين يرسّم المستقبل: لا عودة إلى الهيمنة

موسكو - الأخبار

«روسيا، روسيا، روسيا»، هتف الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، والحاضرون، عقب انتهاء مراسم توقيع اتفاقات ضمّ لوغانسك ودونيتسك وزابوروجيا وخيرسون إلى قوام الاتحاد الروسي. الهتاف لـ«حياة روسيا» بلخّص بدقّة فحوى الخطاب الذي كان على قدْر الحدث وأهميّته في لحظة يُكتب فيها تاريخ جديد لروسيا وللعالم، ستكون له ارتدادات لسنوات قادمة، سرعان ما عبّرت عنها ردود الفعل الغربية التي خلُصت في مجملها إلى أن النزاع بينها وبين روسيا انتقل إلى مرحلة عنوانها القطيعة الكلية. من جهته، انتقى بوتين عبارات خطابه بدقّة، موجّهاً رسائل إلى الداخل والخارج، فحواها أن روسيا «قوية وقادرة على حماية تاريخها وثقافتها وشعبها، ومواجهة الهيمنة الغربية، وصولاً إلى بناء عالم جديد لا مكان فيه لسياسات الإلغاء والحصار».

انطلق بوتين في خطابه من «قرار» سكان المناطق الأوكرانية الأربع الانضمام إلى روسيا، واعداً بـ«استعادة أراضيها كافة، وحماية شعبها بكلّ ما أوتينا من وسائل». وبعد توقيع الرئيس على اتفاقات الضمّ، ستحال هذه الأخيرة إلى المحكمة الدستورية الروسية لتنظر في مدى ملاءمتها، ثم إلى مجلس الدوما للتصويت عليها. ورسم الرئيس الروسي مسارَين للتعامل مع نظام كييف في المرحلة المقبلة، الأوّل: ضرورة احترامه خيار سكان المناطق الأربع الانضمام إلى روسيا، وأن «يستمع ومشغّليه في الغرب إلى أن سكّان هذه المناطق أصبحوا مواطنين روساً وإلى الأبد»، مع ما يعنيه ذلك من تأبيد السيطرة على هذه المناطق وعدم شمولها في أيّ مفاوضات لاحقة بين الجانبين، وهو ما يحيل إلى المسار الثاني، أي دعوة بوتين كييف إلى التفاوض، «لكنّنا لن نناقش خيارات الشعب، لقد تمّ ذلك ولن تخذل روسيا شعبها».

في المحور الثاني لخطابه، جدّد بوتين وصْف تفكيك الاتحاد السوفياتي بـ«الكارثة»، لافتاً إلى أن «أقنعة الغرب الذي حاول في عام 1991 تفتيت روسيا وتحويلها إلى شعوب متحاربة، سقطت». كذلك، أفرد جزءاً مهمّاً للحديث عن نظرة روسيا إلى الغرب، موضحاً أن «الهدف الأساسي للغرب هو فكرنا وفلسفتنا... الغرب لا يحتاج إلى روسيا، أمّا نحن فنحتاج إليها». وحول علاقة الجانبين، أوضح الرئيس الروسي أن «الغرب كان يدّعي الشراكة مع روسيا، لكن تصرفاته دلّت على أن نظرته إلينا استعمارية»، مضيفاً إنه «أراد إجبارنا على القبول بالقرارات الاستبدادية وإضعافنا وإعادتنا إلى سنوات الحرب الباردة»، مؤكداً أن «روسيا بلد عظيم، ولن نقبل بأن نُعيش على أساس قواعد دوليّة مزوّرة». كذلك، أوضح بوتين أن الغرب «يريد تصنيفنا عدوّاً»،

> **«أراد الغرب إضعافنا وإعادتنا إلى سنوات الحرب الباردة»**

وأنه «لا يتراجع عن نشر الدعاية الكاذبة ضدّنا، ولكن هذه الأكاذيب لن تدفئ الأوروبيين في الشتاء». وفيما أشار إلى أن «الغرب ينتهج سياسة الاستعمار الجديد من أجل الهيمنة على العالم وإسقاط الأنظمة»، اتّهم الجانب الآخر بأنه «يريد أن تتخلّى دول وكيانات عن سيادتها، ومستعدّ حتى لاستخدام الإرهاب من أجل مصالحه»، ليشدّد، في هذا الجانب، على أنه «ليس لديه أيّ حقّ أخلاقي في إملاء إرادته، فيما يقسّم العالم إلى دول متحضّرة وأخرى متوحّشة». لافتاً إلى أنّ «أوروبا تقبل بالخطط الاستعمارية الأميركية الجديدة، وهؤلاء يستهدفون شركاءنا والدول المجاورة لنا... وهو يحاول تغيير أسس النمو في العالم ويمنع المجتمعات من التطوّر والدفاع عن سيادتها». وبازدواجية معايير هذه، «أنهى الغرب الاتفاقات والمواثيق كافة وتخلّى عن تعهّداته الأمنية وخرق التزاماته وانتهج الخداع». وفي هذا الإطار، أكد بوتين أن «روسيا تدرك مسؤوليتها أمام المجتمع الدولي، وستقوم بما يلزم لتعيد الغرب إلى رشده»، في إشارة إلى أن العالم «يدخل حقبة جديدة متعدّدة القطبية تدافع فيها الدول عن استقلالها وإرادتها ورغبتها في التنمية».

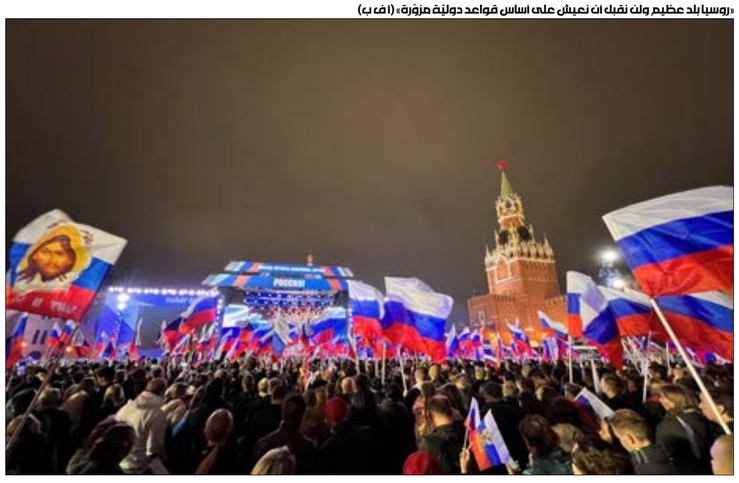

«روسيا بلد عظيم ولن نقبل ان نعيش على اساس قواعد دوليّة مزوّرة» (أ ف ب)

وفي خطابه، تطرّق الرئيس الروسي إلى أزمة الطاقة في أعقاب استهداف خطّي الأنابيب «نورد ستريم 1» و«نورد ستريم 2»، متهماً «الأنغلوساكسونية بالتخريب الذي تعرّضت له أنابيب السيل الشمالي» الذي يمثّل تدميراً لبنية الطاقة التحتية لأوروبا «ومن الواضح من المستفيد»، مضيفاً إن «واشنطن تدفع نحو عقوبات ضدّ روسيا وتضغط على أوروبا للتخلّي عن موارد الطاقة الروسية لتهيمن عليها». وأنهى بوتين خطابه بما يمكن أن يُطلَق عليه «قواعد للنظام الدولي الجديد»، معلناً أن «المستقبل هو للقتال من أجل شعبنا ومن أجل روسيا التاريخية العظيمة»، وأن «القوّة هي التي ستحدّد المستقبل السياسي في العالم».

العراق

«تشرين» في سنته الثالثة: الآباء كثيرون... والمولود مفقود

حسين إبراهيم، إستبرق الساعدي

عندما بدأ حراك تشرين في العراق عام 2019، كان الاحتجاج يطاول كل الأحزاب السياسية المشاركة في السلطة، بلا استثناء. لكنه سرعان ما تحوّل إلى مطية لبعض قوى السلطة نفسها، كما للخارج القريب والبعيد، وفي المقدّمة الولايات المتحدة وبعض دول الخليج، التي صارت لها مجموعات محدّدة، تخترق من خلالها الساحة العراقية. وعلى رغم أن حراك تشرين لم يستطع امتلاك تأثير كبير على الحياة السياسية في العراق، وحصل على حصّة نيابية متواضعة في الانتخابات التشريعية الأخيرة، مقارنة بأحزاب السلطة، إلّا أنه أوجد دينامية غيّرت تعاطي الشارع العراقي مع السلطة، بحيث صارت التظاهرات المطلبيّة شأناً يومياً.

فالحراك الذي دام أشهراً، نجح في إسقاط حكومة الأحزاب التي شكّلها عادل عبد المهدي بناءً على نتائج انتخابات 2018، كما نجح في إيصال «ممثّله» إلى رأس هرم السلطة، متجسّداً بمصطفى الكاظمي، إلا أنه لم ينجح في امتلاك السلطة، بعدما حاد عن شعاره الرئيس المتمثّل في المطالبة بإنهاء حالة الفساد وانتشال العراقيين من البؤس، بخضوعه للتأثيرات الخارجيّة وإجراء بعض قواه صفقات مع أحزاب السلطة، ما أدّى إلى انقسام مجموعات الحراك، بحيث بالكاد يمكن العثور على مجموعة واحدة بقيت متماسكة إلى اليوم. والأمثلة كثيرة، لكن أبرزها ما أصاب حركة «امتداد» التي يقودها النائب علاء الركابي، الذي أقال أخيراً عدداً من نواب الحركة، بسبب إعلان نيّتهم المشاركة في جلسة نيابية كان «الإطار التنسيقي» يريد عقْدها لتشكيل الحكومة الجديدة برئاسة محمد شياع السوداني، مُظهِراً مَيْلاً نحو التحالف مع مقتدى الصدر.

منذ انطلاق التظاهرات عام 2019، برزت إشكالية في العلاقة بين القوى المحرّكة لها، وبين «التيار الصدري» الذي كان دائماً يلعب لعبة السلطة والمعارَضة معاً. ومنذ البداية، رفضت تلك القوى اعتبار التيار المتغلغل في إدارات الدولة والوزارات والقوى الأمنية العراقية، جزءاً منها، الأمر الذي أكدته مشاركة الأخير في حكومة ما بعد الحراك، أسوةً بأحزاب السلطة الأخرى. لكن الحالات الغالبة للتفاعل الصدري مع الحراك، كانت للتقارب والتحالف، وبعضها قادها الصدر شخصياً. وهي محاولات تجدّدت لمناسبة إحياء الذكرى الثالثة للحراك، على شكل عروض لتنظيم تظاهرات مشتركة، إلا أن قوى الحراك رفضت مرّة أخرى هذا العرض، لإدراكها أن الصدر يريد الاستفادة من زخمها الشعبي لتحقيق مشروعه في الحكم، الذي فشل في تحقيقه من خلال مشاركته في الانتخابات الأخيرة، لعدم حصوله هو ومَن تحالف معهم من أحزاب السلطة في المكوّنات الأخرى، على غالبية كافية. وعندما قرّر النزول إلى الشارع وقلْب الطاولة، في ما وُصف بأنه «محاولة انقلاب» تضمّنت الاستيلاء على مقرّي الحكومة والرئاسة، في نهاية آب الماضي، تبيّن أنه - أيضاً - لا يملك نصاباً كافياً في الشارع، فلم يجد أمامه إلّا العودة إلى «قوى تشرين».

وعن العلاقة بين الحراك وأحزاب السلطة، يقول رئيس «حركة نازل آخذ حقي»، مشرق الفريجي، لـ«الأخبار»: إن «كل تحرُّكات التيار أو الإطار تقع في خانة الصراع على السلطة. لذلك نحن لا نأمل الكثير من هذه التحرُّكات. ولدينا أزمة ثقة كبيرة مع القوى السياسية التقليدية». ويعتبر أن «كل حديث عن التقارب احتجاجيّاً مع الصدريين هو من الخيال، فلا يوجد شيء من هذا القبيل. يصدر ذلك فقط عن منصات إعلامية قريبة منهم، في محاولة لجرّ الشباب إلى صراعهم الذي نبرأ منه، ونقول دائماً إننا لسنا جزءاً منه. لكن العراق ليس حكراً على هؤلاء. فهناك أطراف أخرى راغبة في التغيير».

هذا في جانب التفاعل الداخلي للحراك، صداماً أو اتفاقاً، إلا أن للحراك بُعداً أخطر هو البعد الخارجي الذي أطلّ برأسه من البداية، حين سعى الإعلام الغربي والخليجي، ولا سيما السعودي والإماراتي، إلى تصويره على أنه «ثورة» ضد إيران، علماً أن الفساد في العراق أميركي المنشأ، حتى وإنْ طاول بعضاً ممَّن يلعبون على حبال التحالفات مع إيران والولايات المتحدة ودول أخرى. ولا يخفى أن الحراك اخترُق منذ البداية بمجموعات تموّلها الولايات المتحدة ودول الخليج، ممَّن يريدون إشعال الاقتتال الداخلي، وهم مستمرّون في ذلك إلى اليوم، بخاصة داخل المكوّن الشيعي، بهدف إحراق أصابع إيران، ولا يردعهم عن ذلك سوى أن انفجار البركان العراقي سيصيب بحممه دولاً قريبة وبعيدة، وستكون عواقبه وخيمة على هذه الدول، بخاصّة في ظلّ الحرب العالمية الطابع الدائرة في أوكرانيا.

وفي توصيفه لـ«الحراك التشريني» يرى القيادي في حركة «امتداد»، مسعد الراجحي، في حديث إلى «الأخبار»، أن «ثورة تشرين العظيمة حركة جماهيرية عفوية انفجرت جرّاء تصرّفات حكومات العوائل التي استولت على مؤسسات الدولة، الأمر الذي مكّن الأحزاب التقليدية الفاسدة من الهيمنة على مقدّرات البلد المالية، فضلاً عن رعايتها للسلاح المنفلت (...)». ويضيف: «يقابل ذلك وجود دستور يحمل في طيّاته بنوداً مثقلة بالإغفال الدستوري، وقوانين مغيّبة غير نافذة، مثل قانون الأحزاب، وانعدام العدالة الاجتماعية. وكل ذلك ولّد حالة من اليأس الشعبي ترافقت مع وجود نخبة نوعية أكاديمية ثائرة تحاول إيجاد سبل النجاح الوطن». ويتابع الراجحي: «هنا، انقسمت حناجر الاحتجاج إلى ثلاث مجموعات وفق مؤثرات داخلية، الأولى: وهم الذين لا يأتمرون بقيادة أيّ طرف من أطراف البعد الديني في النجف الأشرف، والذين أعلنوا مقاطعتهم للانتخابات. والثانية: الذين يؤمنون بالبعد المرجعي حيث أعلنوا أن لا حلّ إلّا عبر الانتخابات وتحت شعار المجرَّب لا يجرَّب. والثالثة: الذين التزموا بتوجيهات قياداتهم للعمل وفق سطور تغريدة عبر تويتر لتكون منطلقهم للفعل، فضلاً عن البعد الدولي الذي تنسجم مصالحه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مع الإبقاء على الأنموذج الرخيص سياسياً والمؤدّي إلى جعْل العراق أرضاً رخوة للصراع وتصفية الحسابات التي راكمت من هيمنة الأحزاب التقليدية الفاسدة على زمام السلطة».

المقال كاملاً على الموقع

البلاد

شتات

سأنجب لاجئاً جديداً

بلال الطبعموني

يقول الإعلان العالمي لحقوق الإنسان إن جميع البشر يولدون أحراراً ومتساوين في الكرامة والحقوق، بغض النظر عن الجنسية ومكان الإقامة والجنس، الأصل القومي أو العرقي، اللون أو الدين أو اللغة، أو أي وضع آخر.

في الحقيقة، ليس كل ما يقال يُترجم فعلياً على أرض الواقع، فكثيرة هي الخروقات حول العالم، للمثاليات الحقوقية الأممية. في لبنان مثلاً، يعيش اللاجئ الفلسطيني منذ عهد النكبة، سنة 1948، محروماً من حقوقه المدنية والإنسانية - فضلاً عن السياسية منها - التي كفلتها كل الشرائع الدينية والقانونية، في الوقت الذي لم تفلح فيه كل المناشدات في وضع حدّ لتلك المأساة المتواصلة على مدار عقود من الزمن.

المشكلة ليست في التطبيقات، وإنما في الأصل الدستوري، الذي يمنع الفلسطيني من الحق في العمل مثلاً، في مخالفة للقوانين الدولية كافة، ليس لها مثيل ربما، في أي من دول العالم، رغم أن العمل يعدّ الموجِب الأساسي، للعيش الطبيعي الكريم، الذي لا تستقيم الحياة من دونه. غير أن اللاجئ الفلسطيني في لبنان، لكي يعمل، لا بد من أن يشعر دائماً بأنه ملاحق، وإذا وجد واحدة من الوظائف، في مهنة حرة، أو مؤسسة ما، غالباً ما يتعرض للاستغلال، والحرمان من الضمان والتأمين الصحي، وتعويض نهاية الخدمة، وقد يكون عرضة لإنقاص الراتب مقارنة بأقرانه، ومن الممكن طرده في أي لحظة، من دون أن يكون بمقدوره ردّ المظلمة، على اعتبار أن القانون لا يغطّيه، بل يتركه مكشوف الظهر، بلا حماية، مع العلم أن الوظائف الرسمية، بكل درجاتها وتفصيلاتها، محرّمة

> **اللاجئ الفلسطيني، عند كل أزمة داخلية، يرى نفسه في قفص الاتهام**

قطعاً على اللاجئين الفلسطينيين، بغضّ النظر عن كفاءتهم وقدراتهم. ومن الطوام الكبرى، التي لا تماثلها ظلمة، ولا توازيها مأساة، أن يُحرم اللاجئ الفلسطيني من حقه في التملك، وهذه سابقة على كوكب الأرض ربما... إذ كيف يحرم الإنسان من امتلاك ما شقي طوال حياته لتحصيله، وليس الأمر مرتبطاً بالشقاء فحسب، فمن الطبيعي أن يكون بمقدور الإنسان التأمين على ما هو ملكه وحقه، والمحافظة عليه، وتوريثه لأولاده وأهله، رخيصاً كان أو ثميناً، كبيراً أو صغيراً، جميلاً أو قبيحاً، صعباً تحصيله أو سهلاً؛ ومن الطوام أيضاً، التذرّع بحق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم، كسبب لحرمان المرء من التملك، هو في حدّ ذاته عذر أقبح من ذنب، فها هي الشواهد في دول الطوق، وكل أصقاع الأرض، الفلسطيني فيها يتملّك ويعمل ويعيش، من دون أن يعني ذلك بأي صورة تخلّيه عن وطنه الأم.

المفارقة، أن الفلسطينيين في لبنان، بحسب الأرقام الرسمية وغير الرسمية، هم من أكثر الجنسيات مساهمة في الاقتصاد المحلي، والنقد الوطني، سواء عبر المقيمين، أو المغتربين منهم، على أنّ ذلك لم يغيّر من المعادلة شيئاً، بل إن اللاجئ الفلسطيني، عند كل أزمة داخلية، يرى نفسه في قفص الاتهام، وعرضة للعنصرية والتنمّر، بأنه متسبّب عن سوء الأوضاع، وشحّ المواد، والأزمات المعيشية، وما سوى ذلك، وهذا ليس من الإنصاف في شيء، إذ يجافي الحقيقة، ويجانب الصواب. الفلسطيني ابن المأساة، ابن المعاناة التي لم تعد تطاق أو تحتمل، فتحوّلت قسراً إلى قوارب هجرة... الفلسطيني لا يريد المواطنة الكاملة في لبنان، لكنه يريد الإنسانية الكاملة... حتى لا يقول حين يتزوّج: "سأنجب لاجئاً جديداً".

رسم نهاد علم الدين

لروح الطفل الشهيد ريان سليمان

قوارب الموت أم تغيير القوانين

أحمد الصباهي

إن فكرة اللجوء أو الهرب إلى أوروبا، هي فكرة تراود كل فلسطيني في لبنان، والقصة معروفة للقاصي والداني، ابتداءً من القوانين المجحفة بحق الفلسطيني، وانتهاءً بالفقر والعوز التاريخي اللاحق بهم، والذي استفحل في ظل الأزمة الاقتصادية الأخيرة، والتي استوى فيها هذه المرة اللبناني والفلسطيني على حدّ سواء، لكن من هو المسبّب للحالة التي وصل إليها الفلسطيني في لبنان؟

تستطيع القول مباشرة إنه الاحتلال الإسرائيلي، والغرب من ورائه، وهذه أسباب تاريخية معروفة، لكن لماذا لم يكن حال اللاجئ الفلسطيني في سوريا، أو الأردن، أو أي بلد عربي لجأ إليه، كحاله في لبنان. لماذا اللاجئ الفلسطيني في سوريا لديه كامل الحقوق (ما عدا التصويت والترشح للانتخابات)، وفي لبنان محروم من أكثر من سبعين مهنة؟

السبب بكل بساطة هو نظرة الدولة اللبنانية، وبالعودة إلى التاريخ، وواضح أن اللاجئ الفلسطيني يدفع ثمناً باهظاً مبنياً على مواقف تاريخية مرّت بها العلاقة اللبنانية الفلسطينية.

مراحل العلاقة اللبنانية الفلسطينية، وأزمة الصورة النمطية

في الجزء الثاني من كتاب «اللجوء الفلسطيني في لبنان؛ كلفة الأخوة في زمن الصراعات» الصادر عن لجنة الحوار اللبناني الفلسطيني التابعة لرئاسة مجلس الوزراء، يشير إلى "مرحلتين كبيرتين في العلاقة مع اللاجئ الفلسطيني" المرحلة الأولى التي سبقت فترة 1967 والتي تميزت بأنها مرحلة انسجام وتوافق سياسي وشعبي، مخالفة للصورة النمطية التي تكونت لاحقاً، لتأتي الأعوام التي تلت عام 1967، وصولاً إلى مرحلة الحرب الأهلية اللبنانية، والاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982، لتتكون الصورة السلبية والناتجة من التوظيف السياسي من قبل الأطراف المختلفة اللبنانية والفلسطينية، وما حدث أن اختلاف المواقف والأهداف بين هذه الأطراف حمّلت تبعاته للمدنيين اللبنانيين، كما للمدنيين الفلسطينيين" (دار سائر المشرق، ص89).

طبعاً، هذه صورة مبسطة عن الصورة النمطية، وهي وإن كانت كما تصفها لجنة الحوار، لم تقتصر على السياسيين، بل هي صورة تتوارثها الأجيال، واستفحلت مع اللجوء والنزوح السوري إلى لبنان.

إن الجهود التي بذلتها لجنة الحوار الفلسطيني اللبناني، في سبيل إقرار الحقوق الإنسانية للاجئ الفلسطيني، لم تثمر إلا حقوقاً متواضعة جداً، فالمشوار لا يزال طويلاً، لماذا، لأن الاستنتاج السابق الذي وصلت إليه لجنة الحوار حول الصورة النمطية للفلسطيني لم تتغير، وهي بدورها تشكل عقدة كبيرة، باعتبار أن شريحة لبنانية كالسيحيين يرفضون أي تغيير في الواقع المعيشي للفلسطيني في لبنان خوفاً من التوطين، وما يعتبرونه فقداناً للتوازن الطائفي لمصلحة المسلمين على حساب المسيحيين، هذا إذا افترضنا أن الفلسطيني يريد فعلاً التوطين.

> **هل نجري كفلسطينيين حواراً مع المسيحيين لتتغير النظرة، فيكون هو الحل؟**

ربما هذا الكلام من الصعوبة بمكان، وبكاد يكون مستحيلاً، وإني في كلامي هذا لا أقود أي أحد إلى اليأس، أو الهرب من هذا الواقع عبر قوارب البحر الخطرة، فما نتابعه حالياً من خلاف سياسي داخلي لبناني مستفحل، إذ تجري أحاديث ورؤوس الأموال، حتى من اللاجئين الفلسطينيين اللبنانيين في الخارج، لربما ساهمت هذه النظرة في تخفيف حدة الأزمة للفلسطيني واللبناني معاً، وخفضت من أرقام البطالة المخيفة.

ربما من الصعب جداً توقع أن هذا الأمر سيتحقق، لكن من العقم الفكري، عدم التفكير بذلك، ولو تصرفت تركيا ومصر وغيرها من البلدان العربية بأزمة اللجوء السوري، كما يتعامل لبنان مع اللاجئ الفلسطيني، لخسرت الكثير من رؤوس الأموال السورية. إذاً، الحل ليس في قوارب الموت والمخاطرة بحياة الرجال والنساء والأطفال، فما يحصل جريمة، إنما الحل هو بتغيير القوانين، وسنّ اللازم منها من أجل عيش الفلسطيني عيشة طبيعية، وإلى أن يحصل ذلك، فمسؤولية اللاجئين هي على الفصائل الفلسطينية والسلطة والمبادرات المجتمعية الفلسطينية في الخارج، وبالتالي نستطيع الاعتماد على الأونروا حصراً، وإلا حتماً سنكون أمام سفينة أرواد جديدة.

هذه الأزمة، وبحثوا عن العوائد الاقتصادية الفلسطينية التي يمكن الاستفادة منها في حال تغيير القوانين، لجذب الاستثمارات من كوندرالية وتقسيم لبنان، وما يشير إليه الواقع الاقتصادي الكارثي، الدافع لهجرة اللبنانيين وفئة الشباب تحديداً إلى الخارج، كفيلة بمنع أي حوار في هذا الشأن.

> **هل انعدمت الحلول؟ فاصبحت قوارب الموت سفينة النجاة؟**

لن أخوض في العوائد والتحويلات المالية للفلسطيني في لبنان، فهي واضحة وصدر الكثير من الدراسات التي تتحدث عن ملايين الدولارات التي يصرفها الفلسطيني في لبنان سنوياً، لكن في إطار الحلول، واضح أنه من غير تغيير القوانين التي تستدعي توافقاً إسلامياً مسيحياً في لبنان، لجهة إعطاء الحقوق الإنسانية للاجئ الفلسطيني، والسماح له بالاستثمار، وإنشاء مؤسسات ومشاريع، إما بجهود الفصائل، أو السلطة أو منظمة التحرير، سيبقى الفلسطيني في حلقة الإغاثة التابعة للأونروا العاجزة أصلاً، وبالتالي ستستمر أزمة القوارب؛ ولو أن أهل السلطة في لبنان نظروا للفلسطيني من البوابة الاقتصادية، في ظل

القيادة الفلسطينية شرعيات مؤجّلة

موسى جرادات

من الواجب التوقف ملياً عند قراءة النظام السياسي الفلسطيني، فقد مرّ أمام محطات تاريخية عديدة، غنية ومتنوعة، وذلك لأن التجربة السياسية الفلسطينية التي تميزت عن غيرها، تُعدّ نموذجاً خاصاً، لا يمكن دراسته وتحليله، انطلاقاً من المقاربات العلمية المتّبعة في دراسة النظم السياسية الحديثة الأخرى.

إن فرادة التجربة الفلسطينية، تجعل الحديث عن الشرعية السياسية للنظام السياسي الفلسطيني، متشعباً، ويقودنا إلى متاهات كثيرة، لكن يمكن التقاط بعض العناوين الرئيسية التي تشمل بنية هذا النظام، وعلى رأسه القيادة المسكة والمتمسّكة بزمام الأمور منذ عقود، وهذا يعني أن كل ما أنتجه وينتجه من القيادات السياسية، المختلفة المشارب الإيديولوجية، والاجتماعية والطبقية - إن صح القول - يصب في خانة واحدة، ويعيش البنية الذهنية والسلوكية نفسها، في الفعل السياسي، ويتغطى تحت مظلة الشعارات الكبرى المرفوعة ذاتها، منذ ما يقرب القرن من الزمن، وعلى رأس تلك الشعارات، الأولوية في إدامة الصراع مع الاحتلال، سواء أكان سياسياً أم عسكرياً، وربما كان هذا الشعار خداعاً وماكراً، ولديه القدرة والفعالية لحجب الرؤية عن واقع وحال النظام السياسي الفلسطيني اليوم الذي يرفض الاحتكام إلى العملية الديمقراطية الانتخابية، خوفاً من عملية الانكشاف.

فبدلاً من هذا، استبدلت القيادة الفلسطينية، سواء في منظمة التحرير الفلسطينية، أو السلطة الفلسطينية ومؤسساتها، وكذلك فصائل العمل الوطني، الاحتكام إلى الشعب، عبر صندوق الانتخاب، بآلية مبتكرة تزاوج بين فعلين متناقضين، الأول يدّعي أو يدّعى عليه أنه ديمقراطي، والثاني، الحديث المستدام عن القيادة التاريخية، وبين الفعلين وقع الفلسطيني في شرك عملية الوهم هذه، ووصل الحال بالنظام السياسي الفلسطيني اليوم إلى قمة أزماته، وأصبحت قياداته مجتمعة تعيش مأزقاً تاريخياً، فكل الشعارات التي رفعتها طوال عقود، واختبات خلفها لم تتحقق، وأصبح السؤال المحقّ، يتعلق بدور القيادة الفلسطينية في إعادة إنتاج الهزيمة التاريخية التي لحقت بنا منذ النكبة وحتى هذا الوقت.

الاغتراب عنوان الواقع

في المقابل يعيش الشارع الفلسطيني في الداخل والشتات، حالة اغتراب كبرى، لا تملأها كل الوعود التي أثبتت زيفها وخاصة في العقدين الماضيين، فالقيادة السياسية الهرمة بالمعنى العمري والمعنى الفعلي، العاجز عن الإنجاز، تجاوزت كل الحدود، ووصلت إلى حد الإفلاس السياسي والأخلاقي، وبدل التسليم بحقيقة الواقع ونتائج فعلها، لجأت للهروب إلى الأمام، عبر سلسلة من الأفعال، تقوم على صناعة الأزمات السياسية والاجتماعية، للبقاء في الصدارة، الأمر الذي أدى إلى تعطل عمل المؤسسات الفلسطينية الحكومية والمدنية والأهلية والفصائلية كافة، حيث تحول المشهد إلى ساحة من الخراب. وعبر جيش الموظفين التابعين لتلك المؤسسات الذين استخدمتهم لحجب الرؤية، أنتجت مجتمعين يعيشان تحت سقف واحد، واحد صغير، يتربع على عرش المؤسسات الحكومية ويتناسل عائلياً، ولا أهمية للكفاءة في هذا الحال، ويمتد فعله إلى كلّ السفارات والمؤسسات في الخارج، مجتمع قبلي بثوب الحداثة، منفصل عن الواقع، وبالتالي منفصل عن القضية والشعب، مع ملاحظة أن الفصائل الفلسطينية الكبرى بدأت تنحو نحو هذا المسار، وتنتج قبيلتها الخاصة بها.

في المقابل هناك مجتمع ملايين الفلسطينيين في الداخل والشتات، في المدن والقرى والمخيمات، لا تربطهم صلة مطلقاً بالنظام السياسي الفلسطيني، ولا يرون به القدرة على التعبير عن كينونته الحقيقة، ولا حتى الحد الأدنى من إمكانية التقاطع والالتقاء، ففي أكثر التقديرات تفاؤلاً، لا يتعدى المنخرطون في الفعل الوطني والسياسي الفلسطيني 5% من أفراد الشعب الفلسطيني، ولنا أن نتخيل هذا الكم وهذا النوع من هدر الطاقات.

من ديمقراطية غابة البنادق إلى صالة الفنادق

يُعد الشعار الذي أطلقه الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، على النظام السياسي الفلسطيني، ديمقراطية غابة البنادق، من أكثر الشعارات الحاجية للرؤية، حيث استمر هذا الشعار بمفاعيله حتى هذا الوقت، وكان المقصود من طرح هذا الشعار، أن شرعيته متأتية من فعل البنادق التي تهدف إلى تحرير البلاد، وأن البندقية المقاتلة وحاملها وقائدها يمتلكون الحق بالتعبير عن أطياف الشعب الفلسطيني كافة، ولأن الثورة كانت قائمة في ذلك الوقت، انخرط الكل الفلسطيني بها، وإلى حد ما، حظيت القيادة الفلسطينية بإجماع شعبي كبير، لكن الأمر بعد أوسلو اختلف، فأصبح من الصعب الاختباء خلف هذا الشعار، وأصبح الكل الفلسطيني مجمعاً على ضرورة الخروج من هذا المأزق التاريخي، فالبلاد لم تتحرر، لا بالفعل السياسي ولا العسكري، وأصبح سؤال ما العمل؟ من أكثر الأسئلة إلحاحاً.

إن ظروف هزيمة حزيران 1967، ساهمت بإنتاج القيادة الفلسطينية التي نالت كل الشرعية من الشعب الفلسطيني، لأنها بكل بساطة كانت تنتمي إلى هذا الشعب، تقدمت الصفوف، قاتلت واستشهدت دفاعاً عن شعارات رفعتها، فكانت مؤمنة بها قولاً وفعلاً، في حين أنتجت هزيمة عام 1982، قيادة فلسطينية عبّرت عن نفسها بالتيار الإسلامي المقاتل، الذي يقدم نفسه اليوم منافساً للتيار العلماني الفلسطيني، ويحاول منذ سنوات أن يحظى باعتراف المؤسسات الرسمية الفلسطينية، عبر الانخراط بها، لكن الباب ما زال مغلقاً بوجه هذا التيار حتى هذا الوقت، وبالمناسبة فإن التيار الإسلامي لجأ إلى شعارات تحت يافطة دينية، الهدف منها التهرب من استحقاق الشرعيات المؤجلة، وتحت عنوان لا يفتي قاعد لمجاهد، وهو إلى حد ما يتطابق مع ديمقراطية «غابة البنادق» كونه يؤدي إلى نفس المعنى والغايات والأهداف، عبر التهرب من المساءلة التاريخية عن تحقيق الإنجازات، والذي يدفع الى وجوب استبدال القيادة، وكما ذكرنا أن البنية الذهنية للقائمين على النظام السياسي الفلسطيني، بنية واحدة، فلا غرابة أن النتيجة ستكون واحدة.

> **الشعار الذي أطلقه الرئيس الراحل عرفات على النظام السياسي الفلسطيني، ديموقراطية غابة البنادق، من أكثر الشعارات الحاجبة للرؤية**

الشباب الفلسطيني بين الهجرة والهجرات

أمام حالة التشظّي والاغتراب في الواقع السياسي الفلسطيني الذي انعكست آثاره على شريحة الشباب الفلسطيني، فآخذ بالتفتيش عن حلول فردية لأزمة عامة، تنكره وتهمّشه. هذه الحلول تقوم على تقديم الأولوية على الحلول العامة، وذلك عبر الهجرة إلى البلدان الغربية.

تشير بعض التقارير الإعلامية الفلسطينية والعربية، إلى مغادرة أكثر من مئة ألف شاب فلسطيني من قطاع غزة والضفة الغربية منذ الانقسام في عام 2007، إلى الدول الأوروبية، وهذه الشريحة من الشباب المؤهلة علمياً ومهنياً، لم تجد نفسها قادرة على الاستمرار والانخراط في واقع مأزوم ثقافياً واقتصادياً وسياسياً، فضّلت البحث عن خياراتها الفردية في فضاءات مجتمعية أخرى، تعتقد أنها قادرة على استيعابها، وبغضّ النظر عن اختلاف الأسباب الدافعة للهجرة سواء من غزة أو الضفة أو مخيمات الشتات، وبغضّ النظر أيضاً عن نسبة الأعداد المذكورة، الظاهرة ماثلة للعيان، ولا يزال سيل الهجرة هادراً ولم يتوقف إلى الآن، على اعتبار أن الأسباب الفعلية الدافعة للهجرة، في المقام الأول، الهجران الممارس للشباب، من القوى والمؤسسات الفلسطينية كافة التي باتت تطفو على سطح أسن من الفساد.

أخيراً، وبعيداً عن التمني والأمنيات، وبعيداً عن الرغبات، لكن قياساً بمسار الشعب الفلسطيني، أثبتت الوقائع، أن الهزيمة، لم تمنع من هذا المد الثوري، الذي ترك بصمته في كل بيت فلسطيني، وراكم تجربة ثرية، وبالتالي فإن هذا المد قادر الآن على اجتراح المعجزات.

(أ ف ب)

قوة الخِطاب... خِطاب القوة

«أنني أقف مسلّحاً بما هو أقوى من السيف الصارم، الا وهو معالجة قضيّتي»

من مسرحية «نطاف الشهوة» للشاعر الإنكليزي كريستوفر مارلو

زاهر أبو حمدة

منذ أعوام، وفي شهر أيلول، يخاطب الرئيس الفلسطيني محمود عباس العالم لنيل الحقوق ورفع الظلم. هو لم يملّ، والمجتمع الدولي «الكذيبة» يصفّق له من دون أن يفهمه. لأن لا أحد ينصت لمن ليس لديه أوراق قوة ضاغطة. فمن وضع القانون الدولي هو الرابح في الحرب العالمية، ويمكن تطويع هذا القانون وفق مصالح الرابحين. وبكل تأكيد إسرائيل هي مصلحة غربية على أرض عربية ولو انتهكت الشرعية الدولية كل يوم.

ومما لا شك فيه أن خطاب عباس الأخير أثار العديد من الانتقادات. أما إذا تحدثنا بموضوعية تامة، فهذا الخطاب أسّس مرحلة جديدة بالعمل السياسي. أعلن أبو مازن بطريقة غير مباشرة نهاية اتفاق أوسلو، وأصبح يتعامل مع إسرائيل كدولة تحتل دولة. وبعيداً عن المرافعة المهمة التاريخية والسياسية والقانونية؛ أعطى عباس الضوء الأخضر لبداية فك الارتباط بدولة الاحتلال والاتفاقات معه. وبما أنه اعتبر إسرائيل لم تعد شريكاً في عملية التسوية، فالطلب بعضوية كاملة لفلسطين في الأمم المتحدة والتوجه للمؤسسات الدولية ولا سيما الجنائية الدولية ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة الملكية الفكرية، ومنظمة الطيران المدني الدولي، يمثل تحدياً جديداً لإسرائيل ورعاتها الغربيين. والأهم هو طلب حماية دولية للشعب وأرض الدولة الموعودة.

أن يعود أبو مازن الى القرارين 181 و194، انقلاب واضح في التعاطي مع الرباعية الدولية والاحتلال. صحيح أنه يستند الى قرارات الأمم المتحدة (754 قراراً من الجمعية العامة، 97 قراراً صدرت من مجلس الأمن و96 قراراً صدرت من مجلس حقوق الإنسان. ولم يُنفّذ أي منها). إلا أن الواقع على الأرض يفيد بأن الاحتلال سيُقدم على ضم الضفة الغربية بالقوة، ولا سيما مناطق أ، لأنه يريد إنهاء مشروع السلطة/ الدولة وبالتالي السيطرة الميدانية والأمنية. وبذلك يقطع الطريق على أي محاولة سياسية لبدء مفاوضات جديدة، وبدل أن تفاوضه لوقف الاستيطان وتفكيك المستوطنات تصبح مضطرةً إلى مفاوضته على الانسحاب من مناطق كانت تحت حكم السلطة. وما يفعله في مناطق شمال الضفة (ضمن مناطق أ) بداية خطة شاملة تضمن احتلال المدن، فعملية "كاسر الأمواج" مقدّمة لعملية «السور الواقي» الجديدة مع ضمان البقاء، حيث يصل جنود الجيش والشاباك.

وسط ما يجري في الميدان، يقول الرئيس الفلسطيني: «لن نلجأ إلى السلاح والعنف ولن نلجأ إلى الإرهاب». هو يضع خطوطاً حمراً أمام العمل المسلح، لأنه يعرف الكلفة العالية السياسية والميدانية للمواجهة العسكرية. لكن من شوائب الخطاب أنه لم يتوجّه إلى الأمم المتحدة بما تضمّنه من مقاومة الاحتلال بالأشكال كافة. ويضمن القانون الدولي حق الدفاع عن النفس، وهذا كان من واجب عباس، أن يدافع عنه ويعطي غطاءً سياسياً لمن أراد رفع السلاح في وجه القوات الإسرائيلية المقتحمة يومياً شرق القدس والضفة الغربية. وهنا النقطة الأساسية حول غضب جزء من الشعب الفلسطيني من خطاب الرئيس، فهو خاطب العالم بخطاب قوي لا يملك قوة تُجبر الولايات المتحدة وإسرائيل على الخضوع السياسي. وبما أن شخصية أبو مازن لا تُحب الكلام الشعبوي والعاطفي، لم يستطع مدّ الجسور مع شعبه. فهو يتصرّف كرئيس دولة وليس كقائد ثورة، وهذا الفرق الشاسع بين المهمتين يجعل الناس يغضبون أكثر وأكثر عندما يوجه خطابه الى العالم من دون توجيه خطابه الى شعبه ومعرفة مزاجه العام.

في المقابل، سيجد أبو مازن نفسه مضطراً الى خطاب القوة أمام الاحتلال في المرحلة المقبلة، وإلى رفع معنويات شعبه والحفاظ، ولو قليلاً، على المشروعية الشعبية ولا سيما داخل قواعد حركة «فتح». وربما نجد عباس يفعل ما فعله سلفه الشهيد ياسر عرفات، ففي صيف 2001 أرسل «كاتم أسراره» فتحي البحيرة، الى دمشق وبيروت والتقى الشهيد عماد مغنية، طالباً الدعم بالمال والسلاح بعدما أطلق الانتفاضة معلناً فشل المفاوضات، على الرغم من ارتفاع وتيرة الضغوط العربية والأميركية. وكان التعاون العسكري والأمني بداية معركة انتهت باستشهاد عرفات. الظروف نفسها والضغوط ذاتها على محمود عباس، والتاريخ يعيد تفاصيل تلك المرحلة. والفرق الوحيد هو بطريقة تعامل القيادة الفلسطينية، فعرفات اختار القوة في خطابه، أما عباس فيختار الخطاب من دون قوة حتى الآن.

البلاد

تحت الاحتلال

منهج فلسطين

مطر عدوان

أطلقت مؤسسة الدراسات الفلسطينية قبل بضعة أشهر موقع «الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية»، ويبدو الجهد المبذول فيها، هائلاً بالنظر إلى كم المعلومات المتوافرة في صفحاته الكثيرة، إذ تكاد لا توجد مسألة مرتبطة بفلسطين لا توجد حولها معلومة مدعمة بالمصادر والمراجع، وبالنظر إلى الكتّاب والمؤلفين فيها، فهم جميعاً ممن يشهد لهم بالأمانة والرصانة العلمية والمعرفية، من رئيس تحريرها الدكتور كميل منصور ورئيس تحريرها المشارك الدكتور ماهر الشريف، وغيرهما من الأسماء العالية في مجال البحث بالقضية الفلسطينية، فضلاً عن أن هذا المشروع، هو واحد من أعمال مؤسسة الدراسات الفلسطينية العريقة بإنتاجها العلمي المرجعي المتخصص حصراً بالقضية الفلسطينية وما يتعلق بها.

تبدو أهمية الموسوعة مضاعفة، إذا ما تم الانتباه إلى الاهتمام الذي بدأ يكبر في السنوات الأخيرة بتعليم فلسطين والقضية الفلسطينية، سواء بمبادرات محلية صغيرة أو بمبادرات أخرى مؤسساتية.

يمكن ملاحظة المبادرات المحلية، في المخيمات، وداخل الأندية الثقافية كالنادي الثقافي الفلسطيني في مخيم مار الياس في بيروت، ومخيم البداوي في طرابلس شمال لبنان، وفي مركز النقب بمخيم برج البراجنة جنوب العاصمة بيروت.

تُعنى هذه المبادرات، بتثقيف الناشئة حول قضيتهم الفلسطينية من جوانبها المتعددة، الجغرافيا والتاريخ بشكل رئيسي، ومن خلالهما، تجري محاولات رفع سوية الوعي بالقضية الفلسطينية، على الرغم من غياب مناهج علمية لمثل هذه الأمور، باستثناء ما قدمته مؤسسة الدراسات الفلسطينية في ثمانينيات القرن الماضي، من كتب مدرسية أعدّتها المؤسسة عن فلسطين والقضية الفلسطينية ماضياً وحاضراً، بعنوان «فلسطين: تاريخها وقضيتها» تغطي المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وكما توضح المؤسسة على موقعها، بأن المنهاج، يمكن تدريسه في مدارس الدول العربية، إمّا كمادة في المنهاج الدراسي المقرر، وإمّا كمادة ملحقة بالمنهاج، وإمّا كمادة للمطالعة المدرسية.

هذا المنهاج الفلسطيني المهم والغني، والمشغول بأيدي خيرة الباحثين والأكاديميين الفلسطينيين والعرب، يتم الاستناد إليه في مثل تلك اللقاءات التعليمية - التعريفية، لكن الأجيال المعاصرة، تحتاج إلى ما هو تفاعلي، يمكّنها من التواصل مع المادة المقدمة بأساليب أخرى، تختلف عن تلك المتبعة بالتلقين. والمشكلة هنا، لا تتعلق بالمنهاج، فهو ابن زمنه وزمن أجيال سابقة في ثمانينيات وتسعينيات القرن المنصرم، بينما الناشئة اليوم، تلجأ لوسائل تكنولوجية، لم يعد بوسعها تقبل المواد بسهولة، بلا طرق تقديم سمعية وبصرية.

ومع ذلك، صدر في لبنان «منهج فلسطين للناشئة» عام 2017، وهو عبارة عن 6 كتب تعليمية صغيرة، من إنتاج مؤسسة «فارس الغد»، تضمنت رسومات ملونة، لتدعيم المعلومات عن مكانة فلسطين وبيت المقدس في الإسلام، وجغرافية فلسطين، وتاريخ فلسطين في العصرين القديم والإسلامي، وتاريخ فلسطين الحديث، والمدن الفلسطينية، والتعريف عن عدد من الشخصيات الفلسطينية.

وصدرت أيضاً مراجع للناشئة، من مؤسسات ومراكز عاملة في لبنان كمركز المعلومات العربي للفنون الشعبية «الجنى» الذي أصدر مورد «يا بلدنا ليش هجرتينا؟» وهو حكاية تتناول «تغريبة أحمد ومريم» لتعريف الناشئة باقتلاع سنة 1948، وما الذي حصل مع الآباء والأجداد في فلسطين، وقد اعتمد المورد في جانب كبير منه على التاريخ الشفوي الذي سجلته «الجنى»، وهناك قيمة مضافة في هذا المورد، هي الأنشطة التي يمكن اتباعها لتقديم المعلومات في المورد، ويندرج هذا الأسلوب بحسب تعريف «الجنى» ضمن مفهوم «التعلم الفاعل»، والذي يستخدمه المركز أيضاً بإدخال الناشئة ضمن عملية البحث والتوثيق مع كبار السن الفلسطينيين في المخيمات والتجمعات، واستخراج ما لدى هؤلاء الصغار من إبداع كـ «صحافيين وباحثين صغار» للتعبير عما سمعوه من الكبار، وكان آخر ما نفذه مركز «الجنى» في السنوات الماضية، قيام الناشئة في بعض المخيمات، بتحديد أماكن البيوت والمساجد والكنائس والأراضي في القرى الفلسطينية المهجرة على خرائط القرى، مع كبار السن من تلك القرى. أيضاً، انطلقت مبادرة شبابية في لبنان هي «الحملة الأهلية من أجل الحق في تعلم تاريخ فلسطين»، وسعت هذه الحملة إلى تعليم تاريخ فلسطين وحاضرها وجغرافيتها للأطفال والطلاب والشباب الفلسطينيين، باعتبار أنّ هذه المادة التعليمية والتثقيفية، تحصّن الهوية الوطنيّة وتبني الذاكرة الجماعيّة، وشملت هذه الحملة، إضافة إلى الشباب، مجموعة كبيرة من الأكاديميين والباحثين والناشطين والمهتمين بالشأن الفلسطيني الذين أجمعوا، على أنّ تلك المسألة الحيوية تحتاج إلى جهد كبير، وعمل حثيث يبدأ في المخيم لينتشر إلى كل الشعب الفلسطيني.

في عام 2017 قامت مبادرات فلسطينية أخرى، حملت همّ تعليم الثورة الفلسطينية، كادأة لفهم الذات الفلسطينية المقاومة، هذه المبادرة كانت موقع «الثورة الفلسطينية» على الإنترنت (المتوقف منذ مدة) والذي اعتمد منهجاً أكاديمياً في تقديم الثورة الفلسطينية، واشتمل على وثائق يمكن الذهاب إليها أثناء القراءة (هايبر لينك) وفيديوهات على موقع «يوتيوب» (القناة موجودة حتى الآن) عبارة عن مقابلات مع شخصيات فلسطينية وعربية عاصرت أحداثاً يتناولها درس ما ضمن المنهج.

والموقع ومنهاجه، أتى نتاجاً لبرنامج أطلق تحت إشراف البروفسورة كرمة النابلسي (كلية سانت إدموند هول، قسم السياسة والعلاقات الدولية، جامعة أكسفورد) وتمّت استضافته من قبل قسم السياسة والعلاقات الدولية بجامعة أكسفورد وبدعم من الأكاديمية البريطانية (The British Academy).

تلك الإصدارات والموارد والنشاطات، وعلى الرغم من توزيعها وتوافرها في المخيمات وخارجها أحياناً، إلا أن دائرتها لم تتسع كفاية لتشمل معظم الفلسطينيين والعرب. والسبب يعود إلى بقاء تلك الإصدارات في حيزها، من دون الخروج إلى الحيز الرسمي ضمن البيئة التعليمية والتربوية الرسمية. ويعود سبب ذلك إلى عدم تبني خطة منهجية ضمن مدارس «الأونروا» على الأقل لتعليم فلسطين وقضيتها، على جراء الضغوط السياسية بشكل أساسي.

تلك المبادرات وغيرها، مجتمعة ومتفرقة، مهمة، لكنها غير كافية، من غير قيام منظمة التحرير الفلسطينية، بهذا الدور الأساسي المنوط بها، لما تشكله من حالة معنوية للشعب الفلسطيني، ومن حالة المؤسسة الممثلة له (الدولة المعنوية)، في حين أن المنظمة ذاتها، لا تفكر بأن تقدم مبادرة شبيهة، أو سبّاقة كمثل أي من المبادرات السابقة، ولا تقوم أيضاً بممارسة سلطتها كممثل للشعب الفلسطيني (وهذا أهم من أن تنتج موارد)، على «الأونروا» التي تمعن بتغييب القضية الفلسطينية عن صفوفها، بالتالي عن عقول الطلبة الفلسطينيين، حتى أنها مثلاً، طلت منذ مدة صغيرة، جدران مدارسها في مخيم البداوي بالأبيض، لتمسح رسومات فنانين وفنانات من المخيم، تدل على الثورة والمقاومة والشهداء.

> تمعن «الأونروا» في تغييب القضية الفلسطينية عن صفوفها، وبالتالي عن عقول الطلبة الفلسطينيين

مقابلة

حاورتها **جوليا قاسم**

في 10 و11 أيلول 2022، اقيمت ندوة في مقر جريدة «السفير» في بيروت، التقى وفد دولي، ضمن برنامج «تعليم فلسطين» التابع لـ «AMED» (البرنامج الاكاديمي لدراسات الجاليات العربية والمسلمة في المهجر في جامعة ولاية سان فرانسيسكو). وهذه السنة، تزامن انعقاد هذا الاجتماع مع إحياء الذكرى الاربعين للاجتياح الإسرائيلي للبنان ومذبحة صبرا وشاتيلا. في مقابلة لـ «الأخبار» مع مديرة برنامج «AMED» وكبيرة الباحثين فيه الاستاذة في كلية التاريخ والدراسات العرقية في جامعة ولاية سان فرانسيسكو الاميركية الدكتورة رباب عبد الهادي، تناولت برنامج «تعليم فلسطين»، وإحياء تيارات العدالة من قلب صفوف الجامعات، في فلسطين، ومن أجلها.

رباب عبد الهادي

مديرة برنامج «AMED» في جامعة ولاية سان فرانسيسكو

- **كان هنالك تغييب تام للخطاب الفلسطيني**
- **أردنا ربط العملية التعلمية بعلم التربية**
- **مزيد من الناس يدعمون فلسطين**

■ أنت تتولين إدارة برنامج «تعليم فلسطين» المندرج تحت مظلة دراسات إنهاء الاستعمار. اشرحي لنا قليلاً تاريخ هذه المبادرة، وكيف تمكّنت من أن تصبحي رائدة في الخطاب السائد لدراسات إنهاء الاستعمار؟

- إنّ برنامج «تعليم فلسطين» هو في الواقع التحديث الأكثر رسمية في مسألة تعليم فلسطين، إذ لطالما أسهم المثقفون الفلسطينيون في إنتاج المعرفة في سبيل تحقيق العدالة، وفي إنتاج المعرفة عن فلسطين والمقاومة. إذا قرأت، على سبيل المثال، الأدبيات الفلسطينية، ستجدين الكثير من المواد الغنية، والكثير من الكتابات والمناقشات المتاحة باللغة الإنكليزية. فهذه الظاهرة موجودة فعلاً، ونحن لا ندّعي أننا أوّل من ينتج المعرفة من أجل العدالة، لكننا أوّل من جاء ببرنامج تعليم فلسطين. بيداغوجيا الممارسة وعدم قابلية العدالة للتجزئة. بصفتنا ضمن برنامج «تعليم فلسطين»، واخترنا كلمة «تعليم»، لا برنامج «بحوث فلسطين»، لأننا أردنا ربط العملية التعلمية بعلم التربية، وأردنا ربط علم التربية بالناس داخل الصفوف الدراسية وخارجها، أي داخل الجامعة الرسمية مع مجتمعات السكان الأصليين في الخارج، فهم ينتجون المعرفة من دون أن يكونوا بالضرورة علماء، أو حاملي شهادات دكتوراه. وقد يشمل ذلك السجون والمراكز والأحياء وغيرها، حيث ينتج الناس نوعاً من المعرفة.

فكرة «عدم قابلية العدالة للتجزئة» هي أن فلسطين ليست استثناء. هي تشمل العدالة في فلسطين ومن أجلها. والمسألة ليست مرتبطة فقط بفلسطين، وبتحقيق العدالة للقضية الفلسطينية، بل نحن نريد فلسطين عادلة. لذلك نحن لا نتحدث عن امتلاك دولة وعلم، بل عن الإنصاف والعدالة الاجتماعية، أي أننا لا نتحدث عن الدولة النيوليبرالية.

هكذا جاءت الفكرة بشكل عام. أمّا حول اعتبارها مناهضة للاستعمار، فذلك لأنني ببساطة لا أعتقد أنه يمكنك دراسة فلسطين من دون الاعتراف والالتزام بأن النضال من أجل فلسطين وإحلال العدالة فيها يفرض مواجهة نظام عنصري استعماري استيطاني.

■ هل تقولين إنه آخر كيان استعماري استيطاني من نوعه؟

- في الواقع، هو ليس الأخير. لديك الولايات المتحدة، لديك كندا، لديك تلك الموجودة في جميع أنحاء أميركا اللاتينية، على سبيل المثال، يوجد حراك ضخم هناك في تشيلي، حول حقوق جماعة مابوتشي، وقد خسروا لتوهم استفتاءً. ستجدين الكثير إذاً، يمكنك حتى الذهاب إلى جنوب أفريقيا والتحدث مع السكان الأصليين حول ما يحصل معهم. هي ليست «الأخيرة»، لكن ما يميّز إسرائيل أنّها أكسبت طابعاً «استثنائياً»، إذ تمّ تصويرها على أنّها دولة نموذجية، والديموقراطية «الوحيدة» في المنطقة، وهذا تصوير خاطئ، وعلى أنها تعمل على تحديث العالم العربي، وهو ليس صحيحاً أيضاً.

> لا أعتقد أنه يمكنك دراسة فلسطين من دون الاعتراف والالتزام بأن النضال من أجل فلسطين وإحلال العدالة فيها يفرض مواجهة نظام عنصري استعماري

هناك غالباً مشكلة تتمثّل في إعطاء الأصوات الغربية شرعية أكبر من أصوات السكان الأصليين، الذين يعرفون التاريخ، والمسار التاريخي، وروايات المقاومة، في وسائل الإعلام والأوساط الأكاديمية، لهذه الممارسة تأثير مهيمن، وهو يشوّه رواياتنا.

إنها مشكلة في التحدي السائد، نعم. يتمّ إسكات الأصوات المهمشة، ونحن نريد أن نسمع ما لديهم. إذا كنت تريدين التحدث عن النضال، فأنت بحاجة إلى سماع ما يقوله الناس، أي من هم معنيون بما يحصل. نحن نركز أيضاً على الأرشيف التاريخي، لدى الناس الكثير من الأحداث في ذاكرتهم، والتي ستزول في النهاية، لذلك نريد إنشاء حوار بين الأجيال، أي مع النشطاء الأصغر سناً، الذين لم يعرفوا هذه الأحداث يوماً لأنهم لم يواكبوها ولم تتمّ كتابتها، وذلك إمّا لأنهم كانوا مشغولين جداً بالكفاح، أو فلم يتسنّ لهم الوقت لكتابتها، أو بسبب وجود فجوة في الوضع الفلسطيني، ومواقف أخرى أيضاً، ما بين أوسلو، وبدء انتفاضة الأقصى. كما كان هنالك تغييب تام للخطاب الفلسطيني ما جعله محدوداً للغاية، ولا يأتي على ذكر حق العودة، حق العودة غير قابل للتفاوض. لم يتم ذكر اللاجئين، أو الحديث عن ضرورة تحدي المشروع الاستعماري الاستيطاني ككل فعلياً، بدلاً من الاكتفاء بمجرد الحديث عن دولة ومستوطنات غير شرعية وشرعية. عن أي مستوطنات شرعية نتحدث؟ هم جميعهم استعماريون!

نحن نعمل على التعاون. في كل مرة نقوم فيها بتشكيل وفود إلى فلسطين، لا يكون ذلك بهدف السياحة. الأمر لا يتعلق بالأشخاص ياتون ويراقبون، ويشعرون بقليل من الأسى تجاه الفلسطينيين، أو يقومون ببعض الأعمال الخيرية ثمّ يعودون إلى ديارهم. ما نقوم به هو نوع من التضامن المتبادل.

قمنا بمشروعين مع سماح إدريس، رحمه الله، عن الولايات المتحدة من الداخل، وحصلنا على مساعدة بعض المثقفين السود، حول تحرير السود وعدم قابلية العدالة للتجزئة، وكانت جميع الأسئلة تتمحور حول انتفاضة السود عام 2020. جميعهم كانوا يتحدثون عن التضامن مع فلسطين. لم يتمّ التحضير مسبقاً لهذه الأسئلة، وقد شملت التعويضات، والتحرير، وما يرتبط بهذا النضال الفلسطيني هو الاعتراف بتاريخنا أيضاً؛ ما حدث في عام 1948، ضرورة المحاسبة، وأنه ينبغي تعويض كل لاجئ فلسطيني، وأن حق العودة غير قابل للتفاوض.

أمّا بالنسبة لطلابنا المولودين في الولايات المتحدة، فكيف يعزفون عن أنفسهم؟ لذلك نقوم بعمل مقارن، ونتحدث عن التواريخ المقارنة، ولا نخلط أبداً بين تاريخ الأماكن التي ندرسها. نحن نؤكد أن المقارنة تعني الاختلاف. لا يوجد سياق مثل سياق آخر، علينا أن نقوم بعمل شاق لفهم التاريخ ومسارات التنمية، قبل أن نكتشف أين تكمن نقاط النضال المشترك.

■ في ما يتعلق بالكفاح المسلح وأشكال النضال الأخرى، فإن فلسطين تحقق في هذه المرحلة نجاحاً أكثر من أي وقت مضى في تاريخها. السردية الصهيونية تفشل، لكن بالطبع أنا على ثقة بأنك، كأكاديمية، تتعرّضين للقمع أكثر من أي وقت مضى. ماذا يعني هذا بالنسبة لك؟

- هناك أزمة. منذ بداية، وحتى قبل، إنشاء دولة إسرائيل، كانت إحدى المهام الرئيسية المسندة إلى الموساد، إلى وزارة الدفاع والأمن والشؤون العامة، هي الحفاظ على الصورة العامة. لقد فشلوا في ذلك، وجزء من ذلك يعود إلى أنهم غير قادرين على مساعدة أنفسهم، إنهم نظام استعماري استيطاني. كيف سيقومون بقمع وسحق الأشخاص الذين يقاومون، والذين لديهم بالفعل سرديتهم؟ يتمتعون بالدعم المادي، ولديهم القوة، وهم مرتبطون بالحزبين الديموقراطي والجمهوري الأميركيين، وصناعة اللوبي الصهيوني، لكنهم يفشلون، ولذا فهم يصبحون أكثر فأكثر قذارة.

إنهم يهاجموننا لأننا نطالب بإضفاء الشرعية على مناهج تدريس فلسطين في جميع الجامعات والمدارس، والذي من شأنه أن يعزز التفكير النقدي. يمكن ألا يتفق الطلاب معنا، لكننا نريد فقط تقديم المعرفة، حول تاريخ الولايات المتحدة مثلاً، وتاريخ العبودية (وهما يعنيان الأمر ذاته). تظهر استطلاعات الرأي العام أن المزيد من الناس يدعمون فلسطين، وهم مندهشون بقدرة الفلسطينيين الدائمة على التحمل. وهذا ليس بغريب، إذ يتعلق الأمر بأناس يريدون أن يكونوا أحراراً. وأهم خطوة في سبيل منع التطبيع مع حالة القمع هذه هو التأكيد على أهمية فرض المحاسبة، وهي خطوة مهمة جداً في سبيل تحقيق العدالة في قضية مذبحة صبرا وشاتيلا، ومن الأمثلة على ذلك دعوة «حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات» (BDS) إلى فرض عقوبات على إسرائيل حول ما حصل في جنوب أفريقيا.

الأخبار
al-akhbar
السبت 1 تشرين الأول 2022 العدد 4741

فنون مشهدية

«أنا كتير طبيعي» على خشبة «زقاق»: ماذا يفكّر شباب اليوم؟

خليل الحاج علي

يأتي «أنا كتير طبيعي» (50 د) الذي انطلق أمس على خشبة «مسرح زقاق»، كتجربة أولى للمخرج اللبناني أنيس ناصر الدين (17 عاماً) بعد تقديمه، للمرة الأولى، كعرض قيد التحضير، أواخر العام الماضي. يتناول المخرج الشاب موضوعات متعددة، يسائل من خلالها الطبيعة البشرية ومفهومها ضمن إطار الكوميديا السوداء. يتناول العرض قصة شاب يبلغ 16 عاماً، صار جينيّاً في عمر الخمسين، لكن مظهره بقي على حاله. يسرد مراحل حياته، في فترات الطفولة، والدراسة، والعائلة، والبيت. «الحياة جعلته شريراً. فهو لم يولد كذلك، لكنه بدأ ينشر الفوضى، بسبب الآخرين، وبات مساره معدياً، يصل إلى حد أذيّة الآخرين». «إنه شخصية مريضة»، يقول أنيس ناصر الدين، «لكن الحياة حتّمت عليه هذا السلوك». يجسّد العرض هذه الأفكار والدوافع، ضمن لوحات، تمزج قساوة المواقف في الحياة، ضمن قالب كوميدي ساخر، بهدف إظهار التناقضات فيها. على مستوى الشكل المسرحي، كل أغراض السينوغرافيا، وضعت لخدمة هدف محدد. إذ يتنوع الديكور، بين كنبة، طاولة طعام، مكتب دراسة، تجسد مراحل معينة من حياة الشخوص، وتحوم في فضاءات الشخصية الأساسية. يرافق الممثلين (رين عثمان، رنيم شمص، رواد كنج، وأنيس ناصر الدين)، الموسيقيّان شربل سويد وحمزة أبو صالح. تتعدى وظيفتهما، الأداء الموسيقي، ليكونا جزءاً فعالاً من العرض، بينما تحمل الإضاءة جمالية فنية، تتبدل، وتتوهّج مع صعود الأحداث. يقول مخرج العرض إن الممثلين أعطوا كل ما لديهم من قدرات، وبذلوا مجهوداً كبيراً، في سبيل إنجاح العرض، خصوصاً «أن الأداء التمثيلي يأتي بعيداً عن الخطابية والمباشرة في الطرح».

مرَّ النص بمراحل متعددة، بدءاً من الكتابة التي بدأت قبل حوالى سنتين، والإخراج الذي تطور خلال الأشهر الماضية، وفريق التمثيل الذي تبدل تباعاً. سنتان مرّتا من عمر المخرج الشاب، نضجت خلالها مفاهيم متعددة، وتبدلت أحوال مختلفة. كانت النتيجة الإصرار على إقامة المسرحية، رغم كل التحديات والتبدلات. يقول أنيس إنه اشتغل على العرض في فترة عمرية حساسة، أي المراهقة، حين تتبدل وتتحول أفكار كثيرة، خصوصاً بين الـ 15 والـ 17. يعلّق: «كبرت بطريقة أسرع، وعاشت معي المسرحية لمدة سنتين». عن هدف العرض، يؤكد مخرج «أنا كتير طبيعي» إنّه ليس موجهاً فقط لرواد المسرح ومحبي النصوص الكلاسيكية العالمية، بل يطمح إلى استدراج كل من ليس لديه اطلاع على الفن المسرحي، إلى مقاعد الجمهور. لذلك، عمد أنيس إلى استخدام الكوميديا السوداء، التي تبدو محبّبة، وقريبة، وتصل إلى الجميع من دون استثناء. «استطعنا من خلال هذا العرض، أن ننتج مسرحية، تتوجه إلى الكل». يبقى الأهم، بحسب المخرج، أن الجمهور، الناضج عمرياً، سيتسنّى له، الإطلاع على وجهة نظر الناشئات والناشئين اليوم، وكل ما يدور في فكرهم وعقلهم، من هواجس، وأفكار، وإبداعات، قد تزيد التنوّع في المشهد المسرحي العام. لذلك، يمكن القول إن العرض يأتي من وجهة نظر الناشئين وإبداعاتهم، وهو ما يستدعي التعرّف إلى وجهة نظر هذه الفئة العمرية، والموضوعات التي تشغلها. علماً أنّ «أنا كتير طبيعي» قد تم دعمه من فرقة «زقاق» المسرحية، وبرنامجها Generation Z، وهو برنامج إرشاديّ، يشرف عليه أعضاء الفرقة، ويتوجه إلى الفنانات والفنّانين الذين تُراوح أعمارهم بين 15 و19 سنة، ولديهم مشروع مسرحيّ يرغبون في تطويره. خلال فترة البرنامج، يخضع الشباب لجلسات عمل في بناء القدرات، ويتلقّون منحة ماديّة لدعم مشروعهم. وقد قُدِّم «أنا كتير طبيعي» بداية ضمن منحة هذا البرنامج، وتم تطويره ليقدم اليوم، بصيغته النهائية، موقّعاً باسم المخرج الشاب.

«أنا كتير طبيعي»: س:20:30 مساء اليوم وغداً ـ «مسرح زقاق» (الكرنتينا . بيروت) ـ للاستعلام: 70/691808

راديو «بي. بي. سي» لم يعد يجيب

«هنا لندن». عبارة لن يسمعها أحد بعد اليوم. بعدما أبصر النور قبل 84 عاماً، ها هو راديو «بي. بي. سي» الناطق بالعربية يحتجب إلى الأبد، المنبر الذي خرج منه أحمد كمال سرور بأوّل نشرة إخبارية بلغة الضاد عام 1938، وتعاقبت عليه أسماء بارزة، من بينها: حسن الكرمي، عيسى صباغ، ماجد سرحان، سامي حداد، جميل عازر، مديحة المدفعي، أفتيم قريطم وغيرهم. خبر صدم شريحة من الجمهور في مختلف أنحاء المنطقة، إذ راح عدد كبير من الإعلاميين العرب، خصوصاً مَن عملوا في هذه الخدمة الأقدم التي أطلقتها «هيئة الإذاعة البريطانية» بلغة غير إنكليزية، يعبّرون عن حزنهم عبر صفحاتهم على مواقع التواصل الاجتماعي. ويأتي إسدال الستار على هذه التجربة الإعلامية العريقة في إطار خطّة لإعادة الهيكلة والتوجّه إلى المنصات الرقمية من قبل الشبكة التي انطلقت في عام 1922 وتتخذ من المملكة المتحدّة مقرّاً لها. وبحسب بيان رسمي صادر عن bbc أوّل من أمس، سيُستغنى عن 382 وظيفة، كجزء من مخطّط لخفض التكاليف والانتقال إلى المنصات الرقمية. وقالت «بي بي سي» إنّ خدمتها الدولية بحاجة إلى توفير 31 مليون دولار أميركي، كجزء من تخفيضات أوسع بقيمة 556 مليون دولار تقريباً، موضحةً في الوقت نفسه أنّ التضخّم المتزايد والتكاليف المرتفعة وتسوية رسوم الترخيص النقدية الثابتة أدّت إلى «خيارات صعبة». وأكدت الشركة أنّ «طروحات اليوم تنطوي على إغلاق إجمالي صافي 382 وظيفة»، إلى جانب 11 خدمة لغوية ـ الأذربيجانية والبرازيلية والماراثية والمونـدو والبنجابية والروسية والصربية والسنهالية والتايلاندية والتركية والفيتنامية ـ هي بالأساس رقمية فقط. كما ستنضمّ خدمات بسبع لغات إلى الخدمات الرقمية حصراً، ضمن خطط إعادة الهيكلة، وهي الخدمات بالصينية والغوجاراتية والإيغبو والإندونيسية والبيدجين والأوردو واليوروبا. وستتوقف الخدمات الإذاعية بالعربية والفارسية والقرغيزية والهندية والبنغالية والصينية والإندونيسية والتاميلية والأردية، إذا تمت الموافقة على المقترحات من قبل الموظفين والنقابات.

أحمد كمال سرور، أوّل مذيع يقرأ نشرة في «بي. بي. سي العربية» في عام 1938

وصحيح أنّ أيّ خدمة لغوية لن تتوقف، غير أنّ بعض مراكز الإنتاج ستنتقل إلى خارج لندن. وكانت الشبكة قد كشفت في نهاية تموز (يوليو) الماضي عن خطط لدمج قناة «بي. بي. سي» الإخبارية العالمية بتلك المحلية، وإطلاق القناة الجديدة في نيسان (أبريل) 2023.

يتمّ تمويل خدمة «بي بي سي» العالمية من رسوم الترخيص في المملكة المتحدة، وهي حالياً 159 جنيهاً إسترلينياً للتلفزيون الملوّن وتدفعها الأسرة لدى شراء جهاز تلفزيون. وسبق أن أعلنت الحكومة عن تجميد رسوم الترخيص في وقت سابق من العام في ما اعتُبر «هجوماً على مؤسسة بريطانية عريقة»، غير أنّ وزراء اعتبروا أنّ نموذج التمويل يحتاج إلى المراجعة بسبب التغييرات التكنولوجية.

المفكرة

حتى الرّمق الأخير

■ يواصل «حتى الرّمق الأخير» (To the Last Breath) استقبال الزوّار في غاليري «إكزود» في الأشرفية حتى الخامس من تشرين الأوّل (أكتوبر) الحالي. إنّه المعرض الفردي السابع في رصيد الفنان أجود أبو زكي (الصورة)، ويتكوّن من 25 لوحة. علماً أنّ الحدث يجري بالتعاون مع جمعية LB-AWI.

معرض «حتى الرّمق الأخير»: لغاية الأربعاء 5 تشرين الأوّل 2022 . من الإثنين إلى الجمعة من الساعة الحادية عشرة صباحاً لغاية السادسة مساءً، والسبت من الساعة الثالثة بعد الظهر لغاية السادسة مساءً . «غاليري إكزود» (الأشرفية . نزلة وزارة الخارجية/ بيروت). للاستعلام: 01/336464 أو 03/976304 أو info@equipeexode.com

جوي والفرقة في انتظاركم!

■ مساء اليوم السبت، يتجدّد الموعد مع جوي فيّاض (الصورة) في NOW Beirut، حيث تحيي حفلة تؤدّي فيها بأسلوبها المميّز عناوين معروفة بالإضافة إلى بعض أغانيها الخاصة (بالعربية والإنكليزية) من ألبومها Reveries of Joy. فعازفة الغيتار والمغنية اللبنانية الشابة تقدّم تجربة خاصة، تجمع بين أعمالها الأصلية وتلك التي تستعيدها من الريبرتوار الغنائي الغربي لأنماط عدّة، أبرزها الروك المستقل والبلوز روك. ويرافق الفنانة اللبنانية الشابة في الموعد المرتقب، الموسيقيون: أوليفر معلوف (كمان)، ورايان فيّاض (باص) وفؤاد عفرا (درامز).

حفلة جوي فيّاض والفرقة: اليوم السبت . الساعة التاسعة مساءً . NOW Beirut (شارع سليم بسترس . الأشرفية . بيروت). للاستعلام: 01/211122

«عقيق» والتأمّل الذاتي

■ ضمن برنامج «رحلات كويريّة» الذي يقدّمه مهرجان «سينما الفؤاد»، يمكن للراغبين مشاهدة الفيلم الروائي التجريبي «عقيق» (68 د) للبناني سليم مراد لغاية يوم الأربعاء المقبل على منصة «أفلامنا» الإلكترونية. في زيارة إلى عيادة جراحة تجميليّة وعند اكتشاف كتلة غريبة في خصيتيه وخرّاج في فمه، يجد المخرج سليم مراد نفسه في مواجهة التحلّل والاضمحلال، في «هذا المقال السينمائيّ الذي يُفرط فيه في تأمّل ذاته بلا خجل أو مواربة»، وفق النص التعريفي الخاص بالشريط. في هذا الفيلم، تموت بعض الشخصيات لتعود إلى الحياة، بينما يناضل بعضها الآخر للهروب من المجتمع فيأكلها الحنين إلى الماضي، فيما تختار أخرى مغادرة المدينة لتُعيد الاتصال بالطبيعة وبحرفتها. يبحث الجميع عن إجابة، عن مَخرج ما. يقدّم العمل، بطريقته الخاصة ومن حيث شكله ومضمونه، «رؤية مستقبليّة متقدّمة ويذكر بالنور الذي لا يجب على المرء أن ينساه أبداً في أحلك الأيام».

فيلم «عقيق»: متوافر لغاية الأربعاء 5 تشرين الأوّل (أكتوبر) الحالي على www.aflamuna.online.

دينو روبينو... محطة بيروتية

■ بعد الانقطاع الطويل الذي فرضته الظروف الصحية، يستأنف «ليبان جاز» نشاطه تدريجاً، وأولى الأمسيات حُجِزَت لعازف الترومبت الإيطالي الشهير باولو فريزو، في آذار (مارس) الماضي. ضمّت فرقة فريزو وقتها عازف بيانو بارع وذات لمسة مميّزة اسمه دينو روبينو (الصورة). يعمل الرجل مستقلاً على مشروعه الخاص، إلى جانب عضويته في فرقة زميله ومواطنه المذكور. مشروع، يدعونا «ليبان جاز» إلى اكتشافه في 12 تشرين الأوّل (أكتوبر) الحالي، إذ يحلّ دينو روبينو وفرقته ضيفاً على بيروت في أمسية جاز ذات توجّه يجمع بين النفس الكلاسيكي لهذه الموسيقى وجرعة خفيفة من الجاز المعاصر. يرافق الموسيقي الإيطالي في السهرة المنتظرة مواطنَيه ماركو باردوشيا (كونترباص) وستيفانو بانيولي (درامز)، في برنامج يتمحور بشكل أساسي حول مقطوعات من ألبوم الفرقة الجديد.

حفلة دينو روبينو وفرقته: الأربعاء 12 تشرين الأوّل 2022 . الساعة الثامنة مساءً . «ميوزكهول» (سنتر «ستاركو» في وسط بيروت التجاري. للاستعلام: 03/807555

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 1 تشرين الأول
العدد 4741 السنة السابعة عشرة
Samedi 1 Octobre 2022 nº 4741 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

جسد متروك،
أحرقته الشّمس،
عار تماماً،
ما خلا ساعة اليد
التي تلمع
وسط ضربات المطرقة،
وسط الأخشاب الممدّدة،
المصقولة،
العاكسة لكلّ شمس النّهار
كشمس منمنمة،
تطفو فوق الدّم الحارق
والمتمرّد كليمونة
رماها مركب غريق

(يانّيس ريتسوس ــ من ديوان «الحائط في المرآة» ـ ص 2 ـ 5)

جيسيكا باكهاوس ـ «ميناء» (من سلسلة Once, Still and Forever ــ 2010)

ملف

«ما الذي ينبغي فعله عندما تنقلب سفينة تحمل مئة راكب، ولا يوجد على متنها سوى قارب نجاة واحد، يكفي عشرة أشخاص فقط؟ إذا كان القارب مليئاً، أعداء الحياة هم الذين يحاولون إنقاذ زُكّاب أكثر فيغرق القارب. إلّا أن الذين يُحبُّون الحياة ويحترمونها يُمسكون بالمجاديف، ويقطعون أيدي الذين يتشبّثون بجانبَي القارب»: قد تكون هذه العبارات القاسية للكاتب العراقي والمقيم في فنلندا حسن بلاسم في روايته «قانون سولولاند» (منشورات المتوسط ـ 2022) خير تعبير عن أدب جديد بدأ يحجز لنفسه مكاناً في التصنيفات الأدبية والروائية اليوم: فبعد رواية الحب ورواية الحرب والسفر والسيرة الذاتية وغيرها، ها هو أدب قوارب المهاجرين يقفز إلى الواجهة مع ما نسمعه كل يوم عن غرق مركب في المتوسط وهلاك ركّابه. آخرها المركب اللبناني الذي غرق قبالة ساحل محافظة طرطوس، مودياً بحياة مئة شخص تقريباً. أدب يعبّر عن أولئك الذين تلفظهم أوطانهم لفظاً من أحشائها بعد أن تقتل آمالهم في الحرية والخبز إلى آخر الحقوق المصادرة، وتدفعهم إلى سلسلة طويلة لها قاموسها ومفرداتها القاسية، من المهرّبين بفظاظة طباعهم وقربها إلى الرعاة والسوقة والمحتالين، إلى المراكب المضعضعة التي تنوء بأحمالها وتنكسر في العواصف، وسترات النجاة التي لا تدرأ الموت أو الغرق، والصلوات باللغات كلها حين يدنو الأجل، والصور التي تطفو فوق الماء حين تغرف المراكب، أو الجثث كجثة الطفل السوري إيلان التي لا يريد الرجل الأبيض، الطرف الأخير في السلسلة أن يراها حيّة تزاحمه على رفاهيته. فكما يقول بلاسم في الرواية ذاتها «هؤلاء الشمّاليُّون وأصحاب بشرة التفوُّق الأبيض يريدون أن يشبّهوا حالنا نحن اللاجئين والمهاجرين، كالجراد، يريدون أن يقولوا إنهم يخوضون حرباً ضدَّ تدفُّق أسراب الجراد من بقاع العالم المتخلّف، وهو يهدّد محاصيل رفاهيّتهم المقدّسة. في الحقيقة، هؤلاء أبناء الرفاهية والاستهلاك الأناني هم الجراد الحقيقي والأخطر على هذا الكوكب. إنهم أخطر جراد في تاريخ البشرية». نستعرض في «كلمات» مقتطفات من الروايات العربية التي تناولت هذه الثيمة المستجدّة التي بدأت تفرض نفسها على الأدب العالمي، ولا سيما بعد فوز السنغالي محمد مبوغار سار بجائزة «الغونكور» الفرنسية عام 2021 كاعتراف بمجموع أعماله ولا سيما «جوقة الصمت» التي تناولت الموضوع ذاته

تقديم واختيار **محمد ناصر الدين**

قوارب الموت في الأدب العـربيّ: وطن صغير يركب البحر

هدى بركات: «بريد الليل»

دار الآداب ـ 2018

أعجبتني فكرة المشي على الماء، أنظر إلى أفراد المجموعة، وكلّهم من الناجين الذين تمّ انتشالهم من البحر، وفقدوا أصدقاءهم وأهلهم في القوارب الغارقة. ربما كان عليهم أن يحاولوا المشي على الماء. هذا نقص في إيمانهم أو في تربيتهم. لو كنّا من المؤمنين لمشينا، بلا القوارب وأخطارها وتكلفتها. أنا كنت انتعلت حذاءً مريحاً ومشيت، على وجه الماء إلى أوروبا أو أبعد... هههه، أو ربما جرّبت السكيت-بورد لأنه أسرع من المشي، وربما توقفت قليلاً من أجل بيكنيك لطيف على وجه الماء، تليه قيلولة تعزّز طاقتي على التزحلق.

ثمّ لماذا لا تقع أبداً قطعة القماش التي تغطي أسفل بطن المصلوب؟ سألته لاتسلّى. كان المصلوب آنذاك عارياً تماماً لإذلاله. قلت: المصلوب يكون عارياً تماماً، إذ الهدف هو إذلاله وكشف عورته، لماذا غطّوه؟ جميل أن تراعي صوَر الكنائس وتماثيلها مشاعر المصلّين والمؤمنين، فالمؤمن خجول، في طبعه، ويحب التركيز. لكن نحن الآن يعزّوننا لأنّه إجراء: بلّلا اخلعوا ثيابكم، بلّلا، كل الثياب، والكلاسين؟ نعم، كان عضو الواحد، أو باب بدنه إن تفحّصوه، يكشف أسراراً. في أي حال، لا أحد يخجل من عري أعضائنا، لا هم ولا نحن.

عاد الإنجيلي إلى الرموز، مرتبكاً بين الجدّ والمزاح. وانتهى الأمر بأن طردناه من حلقتنا لأنّ روح الدعابة لديه ضعيفة، فوسّعت أنا دائرة معارفي، وصار يعجبني أن أسمع لغات لا أعرفها، يتحدث واحدُهم إليّ بها وأنا أهزّ رأسي مبتسماً، ولا أفهم شيئاً.

كانوا لسبب ما، يتكلّمون معي كثيراً وطويلاً، ربما لأنهم كانوا يعرفون أنّي لا أفهم لغاتهم، إذ من كان يريدني أن أسمع كان ينظر في وجهي ويتكلّم بالإنكليزية، أو ربما اعتقدوا أنني مجنون ولو قليلاً، بسبب شكل وجهي لأنّي أعور، لذا كانوا، يبكون أمامي في الليل، أو يستحمون عراة ولا يخجلون مني.

ثم فجأة خرجنا ذات صباح للتريّض الإلزامي، فوجدنا الحقل الذي يمتد أمامنا مليئاً بالخيام الصغيرة الملوّنة وكأنها زهور نبتت في الحشيش. ثم أتت الحافلات محمّلة بالناس، مع النساء والأطفال، أنزلوهم في المساحة المسوّرة بالشريط الشائك. والتفّت حول المكان أفواج من رجال شرطة راحوا يكلّمون الناس بمكبرات الصوت ومن خلف دروع بلاستيكية، ويلقون إليهم بزجاجات الماء وصرر الثياب، واصطفّت، في جانب من الحقل، كميونات التلفزيون... شعرت بالدوار، وقلت: فسدت القعدة، ومشيت.

أكتب لك كل هذا يا أبي لأقول لك إنّي أصوّت مثل غيري مع بارابّاس، ضمير الشعب، وأعترف نهائياً بباس القيصر. فأنا الآن مشرّد، مريض، وأعور. ليست معي نقود، وليس عندي مكان أنام فيه، وأريد العودة إلى البيت.

محمد خير: «إفلات الاصابع»

الكتب خان ـ 2018

قبل موته بشهرين، أسقط المغادر الأخير اللافتة على الأرض، ثم غطّاها بالتراب كأنما يدفن سيرة القرية نفسها ويمحو ذكرها تماماً، وداعاً يا قرية الفقر والجوع واللاذكرى.

وفي الفجر الموعود ظهرت المراكب في الضباب، تحركوا بين العشش الصفيحية المتحبّثة في سواحل بلطيم، خرجوا أسراً وعائلات، إخوة وأخوات وخالات وعمّات وأبناء عمومة، صعدوا ببطء المركب الذي كان من لون البحر والذي كانت مقدمته تنزل تحت وطأة أقدامهم لتشرب من الموج قليلاً ثمّ تصعد، تجمّعوا تلقائياً، العائلات بجوار العائلات، والأسر بجوار الأسر، على النحو نفسه الذي كانت تتوزع به البيوت في البلدة، شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، لم يحملوا معهم أغراضاً إلا بعض الماء والطعام، بعض البنات الصغيرات فقط حملن معهنّ عرائسهنّ الخشبية الصغيرة المصنوعة من خشب الربابة وثمار الدوم وخصلات الشعر، وصعدت القرية واكتمل العدد وانفكّ الحبْل وارتفعت المرساة ودارت الدفّة، وانسابوا في الأفق المعتم، ولم يفكّر أحدهم مرة أخرى في «وهدة»، حيث نقف أنا وبحر الآن. [...] وعاد أحمد إلى «وهدة» بلا أمل، وحين وصل خُيّل إليه أن العزبة قد خلت من أشياء كثيرة، لا عربات ولا نصبات الخردوات ولا لعب الأطفال، كأنّ بدأ عملاقة امتدت ومسحت شوارع القرية كما تمسح سطح طاولة، وحين زاروه في المساء لم يستطع أن يردهم، استقبلهم ونظر في الأرض لكنه وجد نفسه يقول: رأيت أبي يمشي على الماء ضحوكاً ورأيتنا نتبعه، وهتف أحدهم: الله أكبر. والتمع الفرح والعزم في أعين البقية، ونهضوا كل إلى بيته ليمضي ليالي الأخيرة فيه، وفي الليلة الموعودة، غادروا فغادر معهم نحو البحر، وتوقف قليلاً قبل مغادرة القرية يساعد شابين انتزعا لافتة العنوان وطمراها في التراب، وحين وصلوا وباتوا، وجاء القارب صعدوا جميعاً، وساعد مع من ساعد من الشباب في صعود العجائز والأطفال، ولكن قبل أن ترتفع المرساة وجد نفسه يختفي في الظلام، ومن قلب الخوص والعشش رأى المركب يبتعد بناسه وذكرياته، وطن صغير يركب البحر، ومن مكانه لاحظ أنهم لم يلتفتوا وراءهم.

أشرف الخمايسي: «جو العظيم»

دار الشروق ـ 2018

بالإضافة إلى صيحات النوارس، وهدير الأمواج، حملت نسائم الريح إلى أذني الريّس زبيبة صوت بثّ تلفزيوني. فليس بعيداً عن المرفأ، خلف تجمّع صخريّ، مرتفع نسبياً، ثمة عشّة صغيرة، كعشش الصيادين، أحاط بها عدد كبير من الشباب اليافع والمتوسطي الأعمار. كانوا زهاء مئتي شخص! تتحملق أعينهم، بكامل الانتباه، إلى شاشة تلفزيون عتيق، علّقَ خارج العشّة، بإحدى قوائمها الخشبية.

وبينما يصل صوت البثّ خافتاً إلى مسمعي الريس زبيبة استغرق المئتا شخص في مشاهدة عدد من الضفادع البشرية يعلمون على انتشال جثث آدمية غارقة، فيما يقول المذيع بنبرة صوت جنائزية: «أعلن عمدة لامبدوزا عن غرق أحد قوارب الهجرة غير الشرعية، في حادث جديد وعلى متنه مئتا شخص. وكان قادماً من ليبيا قاصداً السواحل الإيطالية، هذا وقد تمكّن الغوّاصون من انتشال سبعين جثة، فيما لا يزال البحث جارياً عن باقي المفقودين».

على الفور تهلّل وجه الريّس زبيبة، ومال برأسه إلى «جو» ووضع على خشب متنه قبلة طويلة.

بانكسي ـ «البحر المتوسط» (2017 ـ تفصيل)

كم هو فعل مشين أن يبدي أحدهم السعادة حين التحاق المصائب بالآخرين، لو لم يكن معروفاً بين جميع بحّارة وربابنة المرفأ أن نقاء، وطهارة، ونبل قلب الريس زبيبة قد فاقت الحد لدرجة تشبه البلاهة والعبط وأن قبلته لـ«جو» ليست شماتة في غير «جو» وإنما ذروة شعور بالعرفان اجتاح الريس زبيبة ربّما عبّر عنه بشكل غير مناسب في وقت غير مناسب. هي إذاً رغبة جامحة في تقديم امتنانه لقاربه الذي بدأ يجوب غياهب البحر في رحلات صيد قبل سبعين عاماً، مع ذلك مستمرّ في مغالبة الأمواج، وتناوب العبور بين ضفّتي البحر المتوسط دون حادثة غرق فاضحة، بينما ها هي القوارب الصغيرة السنّ، التي لم تزل شابة لا تستطيع فعل ذلك، وتغرق بركّابها غير الشرعيين كل يوم [...]. كان لتلك الصيحة المفعمة بالأجواء الأنيقة، مفعول السحر في نفوس المئتي شخص. فما إن سمعوها حتى انتقلوا بلحظة خاطفة، من مشاعر دنيئة إلى مشاعر سامية، من أوضاع حقيرة لزمتهم كمهاجرين غير شرعيّين، إلى وضع محترم تستعد معه سفينتهم لاستقبالهم بحفاوة، كأي مسافرين طبيعيّين يحملون أوراق سفر، وتصاريح إقامة رسمية. لكن، وقبل أن تنتشي أرواحهم بهذا الإحساس الفخم، برز المهرّب إلى خارج عشّته لينتزعهم من هذا الوضع الجديد، المحترم، معيداً إيّاهم إلى محبسهم في وضعهم السابق الحقير، عندما زعق فيهم كأنهم حثالة البشر: «هيا، اركضوا بسرعة يا متاعيس، قبل أن تكتشف الغربان وجودكم فتخسروا كل شيء». يعرف هؤلاء المتاعيس، لخبرتهم البسيطة المكتسبة من التعامل مع المهربين ووسطائهم، من المقصود بالغربان. لكن أحدهم، يدعى «كلام ضيف سيد طماطم»، وكان مزارعاً في قرية نائية من صعيد مصر قبل أن يغادرها للأبد، اعترض على السلوك المهين للمهرّب الفظ بأن صاح متسائلاً باستنكار، وبنبرة مصطنعة البراءة: «أي غربان؟!». كان المهرّب سوقياً، وهي فطرة فطر الله عليها المهرّبين جميعاً، حيث لا يولي الواحد منهم ظروف الآخرين اعتباراً. هكذا لم يفكر هذا المهرّب، ولو للحظة، في أن المعترض مجرّد مهاجر غير شرعيّ مسكين، إنسان يعاني ضغوطاً نفسية صعبة، وأن الصواب لم يكن إجابة سؤاله الاستنكاري، المتذاكي! بسخرية مريرة نهشت إحساسه نهشاً بذيئاً أجبره على التزام الصمت المطبق متجرعاً الإهانة دونما ردّ. وكان المهرّب نظر إلى شكل «كلام» فرأى أنه أقل ذكاء من بقية رفاقه المئة والتسعة والتسعين! على ذلك أجابه بتعسّف: «الغربان التي خطفت كتاكيت أمّك».

العربي رمضاني: «أناشيد الملح»

منشورات المتوسط ـ 2019

بعد مرور أسبوع، طلبنا من المهرّب أن يأتي. جاء مساءً، أخبرنا عن رحلة نهاية الأسبوع أو بداية الأسبوع الذي يليه، بسبب رداءة الجوّ. وذات مساء، جاء إلينا مساعده الشّاب الكرديّ الذي استقبلنا أوّل يوم، طلب منّا تحضير أنفسنا، والاستعداد للرحلة. بعد ساعات طلب منّا أن نخرج ونرافقه في الشارع المؤدّي إلى شارع آخر على طرف المدينة. وصلنا إلى مكان شبه مهجور. بقينا هناك للحظات، ثمّ طلب منّا أن نصعد إلى حافلة كانت مركونة بالقرب من بناية مهترئة، وجدنا داخلها عائلات عراقية، وبعدها بلحظات، بدأ وصول أفراد آخرين آفارقة وسوريّين، جاء مهرّب آخر، وطلب منّا أن نتفادى الضّجيج. انطلقت الحافلة بعد انتظار طويل والتحاق «النفرات» (المهاجرون الآخرون). كانت سيّارة تسبقُ الحافلة، وهي عبارة عن كشّاف، يعتمد عليها سائق الحافلة في مسيره الطويل الذي امتدّ لحوالي 200 كلم، توقّفنا خلاله مرّتين، الأولى بسبب حاجز أمنيّ غادر بعد منتصف اللّيل، والأخرى بأمر من الكشّاف الذي كان يتفقّد البحر. بعد توقّف الحافلة في محطّة وقود مهجورة، نزلنا للتبوّل والتدخين. كانت الرياح باردة جدّاً. صعدنا مجدّداً إلى الحافلة، على أصوات بكاء الأطفال. كانت أمامي طفلةٌ سورية مع أمّها، ترتعش من البرد الذي منعني من النوم، لم أكن أشعر بحركة الحافلة التي انطلقتْ وتقدّمتْ كثيراً حتّى توقّفتْ أخيراً، وسمعتُ مرافقي يُوقظني والسائق التّركيّ الطويل الأصلع يطلب منّا النزول بسرعة، وبلهجة مشرقية «يلّا يلّا!». بعد النّزول، داهمتْنا ريحٌ قوية وباردة، ابتعدْنا عن الطريق، ووجدْنا أنفسنا في حقل زيتون، والرياح وقحة لا ترحم، وعلى الشاطئ مشاريع مهاجرين من جنسيات مختلفة، لا يملكون إلّا أحلامهم بعد أن هربوا من حروب وأوطان وفساد وجحيم وخيانات، ترتعش أيديهم وهي تعبث بالهاتف خلسة عن المهرّب، وتكتب آخر رسالة إلى أهل أو أحبّة قبل لفّها في كيس بلاستيكي حتّى لا يطاولها الماء. سنكون في عداد الموتى، وفريسة محتملة تُبهج بطن بحر إيجة. ارتدينا النّجّادات التي اشتريْناها من بسمانة، دخّنْتُ آخر سيجارة بعيداً عن المهرّب، حتّى ظهر أمامنا قارب مطّاطيّ، وتفاجَأنا أنه صغير الحجم مقارنة بعدد الرّكّاب الذي تجاوز الثلاثين. الاحتجاج في هذه اللحظات لا ينفع، ليست باليد حيلة. صعد الأطفال الذين ارتفع بكاؤهم بفعل الصدمة ربّما أوّل الليل وتواجدهم مع غرباء، وصعدت النّساء. ثمّ بدأ المهرّب بفظاظة لا مثيل لها في تكديس النّفرات حتّى جاء دوري، دخلتُ البحر، كان بارداً جدّاً، تبلّل جسمي، وبصعوبة حصلتُ على مكانٍ أجلس فيه. بقيْنا وحدنا رفقة البحر وهديره المُفزع.

أبو بكر كهال: «تيتانيكات افريقية»

دار الساقي ـ 2008

كان الموج يأتي مثل جبال محتدمة تلطم المركب الذي أصبح مثل قفاعة ستنفجر آجلاً أو عاجلاً. همس: لماذا يوحي هذا المركب بأنه على وشك الغرق؟ وهذا الخشب الذي ينئنّ، ألا يعرف أن يصمت؟ خلص بعض المهاجرين إلى يقين قاطع بأن الكارثة واقعة لا محالة. وكلما رأى وتيرة الرعب المتعاظمة، خشي أن يفقد الناس الأكثر هلعاً صبرهم ويقفزوا إلى المياه. لكنّ الخطر الحقيقي لم يكن في الموج، على الرغم من شراسته، بل كان في الثقب الذي ظهر في أرضية المركب وأخذ يتدفق عبره السيل، مهدداً بغمر المحرك. ضربات الموج العاتي وقرقعات الخشب وانخلاع أجزاء من جسم المركب الخارجي، جميعها تكفّلت بإضرام الصراخ والهذيان وانفلات الأعصاب.

محمد العون: «مراكب الليل»

دار الحضارة للنشر ـ 2017

البحر يبدو في الظلام مخيفاً... مرعباً، لا ضوء مطلقاً في هذه المنطقة البرية المهجورة، صوت الهدير المزمجر والرياح القوية وهي تندفع بوحشية نحو اليابسة يخلع القلب، ويجعل من فكرة وضع القدم في الماء فكرة مجنونة تؤدي إلى الهلاك المحقّق، لا توجد خلجان أو شواطئ مقوّسة نصف دائرية تهدأ عندها الأمواج وتنكسر حدتها، لتداعب الرمال برفق وهي تدخل بين طرفي القوس اللذين يرسمان الشاطئ على الخريطة ويحددان مساحته، بل يصطدم البحر مباشرة بالأرض الممتدة كخط مستقيم بكل عنفوانه وبجبروت المياه العميقة بما فيها من تيارات لا تكفّ عن التصارع حتى خط الصدام باليابسة، في هذه المنطقة لا تسمح حركة البحر العنيفة بتكوين مساحة منبسطة من الرمال تمتد داخله لمسافة كتلك التي توجد في الشواطئ، بالكاد مترين أو ثلاثة ثم تجد المياه العميقة والأمواج العالية وتيار السحب الشديد الذي يُغيب الإنسان في جوفه خلال ثوان قد لا يظهر له أثر بعدها.

على بعد عدة كيلومترات وعند سفح تل رملي تتناثر عليه بقع عشبية خضراء باهتة وبعض النباتات الصحراوية المائلة للاصفرار، ترقد عدة بيوت واطئة لها طابع بدوي، مبنية بالطوب الإسمنتي وسقوفها من ألواح الصاج وعروق الخشب. المطر يهطل بشدة والهواء يأتي من البحر في هذه المنطقة البرية بارداً كالصقيع، في غرفة بأحد هذه البيوت التي لم تدخلها الكهرباء ولا الماء بالطبع، يجلس جلال الغرباوي القرفصاء ويغطي نفسه ببطانية مهترئة وحوله أربعة عشر شاباً يرتجفون من البرد، دفع عشرة آلاف جنيه ووقع أبوه شيكات وإيصالات أمانة بعشرة أخرى ليصل إلى هذا المكان البائس الذي سيعبر منه البحر، خرج منذ أسبوعين من عزبة عبد الواحد مصمّماً على الهجرة، المسافة بين الفقر والموت ليست كبيرة؛ إذا لم نعش هذه الحياة كما يجب أن نُعاش فلا داعي لها من الأصل والموت أفضل منها، نعم الموت أفضل من الحياة التي نعيشها! منذ أن كان طفلاً وهو يسمع عن جمال عبد الواحد وسعد حسين عبد المعطي والحياة الرغدة التي يعيشانها في أوروبا وما فعله كل منهما لأسرته، في المرات القليلة التي زارا فيها البلدة راهما من بعيد وحسدهما من كل قلبه وتمنى أن يصبح مثلهما عندما يكبر، سار في التعليم حتى حصل على دبلوم التجارة ثم... لا شيء، لم يجد أمامه سوى العدم، بين الحين والآخر يعمل لعدة أيام في الحقول ثم يجد نفسه بلا حول ولا قوة في البيت لا يجد ما يفعله، أبوه نفسه عامل أجير لا يملك شيئاً، جده عاش طوال عمره فقيراً منذ ليلة هروبه وهو شاب بامرأته وعياله من بيته تاركاً خلفه أهله وعائلته، هذا الهروب الذي لم يعرف جلال أبداً السبب فيه، لكنّ جده فتحي كثيراً ما كان يذكر أن حياته تغيرت بعد تلك الليلة التي ترك فيها بيته وبهائمه والأرض التي كان يستأجرها بما فيها من زرع...

ملف

منذُ فجرِ التّاريخ، ادرك الإنسانُ انّ الطبيعةَ، بعناصرها الاربعة، ليست فقط صديقًا للبشريّة، وإنّما كانت ايضًا، في احايين كثيرة، عدوّةً له. تسابقُ حياته، فكانتْ علاقته بالماء مزدوجةً وخاضعةً لثنائيّة الحياة والموت. فهذا العنصرُ السّائلُ هو في الوقتِ نفسه مصدرُ حياةٍ وموت. حتّى قال موّرخُ الإغريقِ الاكبرُ هيرودوت: «مصرُ هِبَةُ النّيل». ولكن من جانبٍ آخرَ تسبّبَ انهيارُ سدِّ مأربَ في خرابِ مملكة سبأ، في الحقبةِ المعاصرة. وبالتّحديدِ في منطقتنا في حوضِ المتوسّط، صارَ العنصرُ المائي، بالنسبةِ إلى سكّانِ الضفةِ الجنوبيّةِ عنصرَ خطرٍ يدفعهم لخوضِ لججِ القاتلة حلمهم بملاذٍ احسنَ في الضّفّةِ الشّماليّة. هربًا من الحروبِ الأهليّةِ والمجاعة والفقرِ والطّغيان، علمًا انّ جزءًا كبيرًا ممّا يقعُ في دولِ الجنوبِ تسبّبت فيه كولونياليات الشّمال بنهبها الثروات الآفارقة والاسيويّين وبتنصيبها وكلاءَ على شعوبِ القارّتين. وقد خلّدَ الكثيرُ من شعراءِ العالمِ هذه المآسي البحريّة من خلال ظاهرةٍ صارتْ تُعْرَفُ في الصحافةِ العالميّة باسماءٍ عديدةٍ. لكنّها تتّخذُ جميعُها وجهًا واحدًا هو وجه الموت: الاكتافُ البيليّةُ، قوارب الهجرة السّرّيّة، مياهُ الهجرةِ السّوداء، قوارب الموت. قبل الوجه القبيح لهذه الظاهرة ذات الابعاد السياسية والاقتصاديّة، يحضرُنا نموذجٌ ساطعٌ وإيجابيٌّ من خلال تمويل وتسيير الشاعرِ الشّيليّ بابلو نيرودا، في الرابع من اب (اغسطس) 1939، سفينةً من ميناء Pauillac الفرنسي، لترحيل 2500 لاجئٍ إسباني بامان نحو تشيلي. فهل من شعراء وكتّاب ومفكّرين عرب وغربيين يسيرون على خطى نيرودا بالدّفاع عن حقّ الجنوبيين في اللجوء، بامان إلى حيثما شاؤوا، من خلال مواقف وضغوط على حكّام الضفّة الشماليّة للمتوسّط. وبتمويل قوافل وسفنٍ لإجلاء الهاربين من جحيم الفاقة والطّغيان وتدخّل القوى الاستعماريّة.

ملحوظة كلّ النصوص العجميّة من ترجمتنا

تقديم واختيار **رشيد وحتي**

مقتطفات من الشعرِ العالمي كم من الأمّهات بكين

عمله للمصوّر الفاليواني بو تشي

1. رامي العاشق: في ملعب البحر

[فلسطين/سوريا]

أرى البحرَ...
ثَقباً
بلا وجه عاشقةٍ وانعكاسٍ
ولا خاصرة...
يمصّ النهايات وحلاً...
وموتاً...
ولا يعرف المهتدي... آخرَهُ!

أرى الماءَ... صلباً...
لأني أخاف السّقوطَ
وأخشى — كما قلعة الرمل تخشى — الزّوالَ!
انتهينا مراراً...
ولم نعرف الموتَ
مَنْ آخرُهُ؟

بحثتُ — انتقاماً — عن الأصلِ... أصلي
ولم أعرف الله كي أشكرَهُ!

2. ادهم النمريني: قارب الموت

[سوريا]

يا شَطُّ أبكي إذ رأيتُكَ باكيا ● فمتى أراكَ بجمعِ أهلك هانِيا؟
لَذْ في همومكَ ما استطعتَ فإنّني ● يا شَطُّ لي عينٌ وتفضَحُ ما بيا
أنا لو مشيتُ إلى السّعادةِ ساعيا ● يمشي على ظلّي الأنينُ ورائيا
مالي سوى ألمٍ يطوفُ بدنيتي ● فالسّعدُ أصبحَ عن عيوني نائيا
لم يبقَ لي إلّا الحروف أهزّها ● في ليلتي الظّلماء تبكي حاليا
ويصبحُ في فَقْدِ الأحبةِ خافقي ● ويزفُّ في خَدِّ المساءِ بُكائيا
الصّمتُ حولي لا تنامُ عيونُهُ ● فضجيجُ حرفي لا يملّ ندائيا
حزنًا تملّكني المساءُ وما لهُ ● إلّا التصبّر كي يطيبَ عزائيا
فَانْظُرْ لتلك الباكياتِ بأحرفي ● يُخْبِرْنَ أنّي للأحبةِ ناعيا
فَرّوا من القهرِ الذي تَعِبوا بهِ ● وَجَدوهُ في مَوجِ البحارِ مُناديا
حَزَموا حقائبَ موتهم في قاربٍ ● للموتِ، حينَ الموتُ أصبحَ شافيا
بحرٌ يُنادي للأحبةِ صارخا ● بالموت، لمّا الموجُ أصبحَ داعيا
تركوكَ يا شطَّ الشّام وريحهم ● قَدّتْ بحَدِّ الموجعاتِ مِداديا
هذي الحروف تصبُّ فوقَ دفاتري ● حزناً وتروي بالدّموعِ رثائيا
فوقَ السّطورِ تَغُصّ في آلامِها ● فلقد فتحتُ لها العيونَ سواقيا
إن كانَ في خَدَيكَ دمعُ فراقِهمْ ● فَخيوطُ دمعي قد أبانتْ ما بيا

3. عمر هزاع: غريق على الضفة

[سوريا]

يلوّحون وما يدري بهم أحد ● إلا الهدير وهذا الموج والزبد
كانوا كثيرين غرقى كنت أبعدهم ● وكنت أقربهم موتاً ولا جسد
وكنت أطولهم جرماً ولا أب لي ● وكنت أعرضهم جرحاً فلي ولد
وكنت؛ وحدي؛ أراهم كنت أسمعهم● حيث الفراغ أياد.. والمدى مدد
لا عاصم اليوم لا فلك ولا جبل ● ولا نبيّ. ولا طوق ولا وتد
تقلّبوا في جحيم الماء أضرحة ● والأرض تلطم خدّاً والعباب يد
أكان يوماً؟ ترى؛ أم أنّ أزمنة ● من الظلام استمرّتْ؛ ما لها عدد؟!
حتّى تراخى غبار الليل عن قمر ● كأنّه؛ بحبال الموج؛ منعقد
غنّى؛ لكارثة شعواء؛ ملحمة ● طقوسها: الماء والإنسان والأبد

4. حسن الوفيق: قوارب الموت

[المغرب]

ما لي أرى قومي كُثُرٌ ● في كل درب منحدرْ
والنار تسري فيهمُ ● مثل الهشيم المستعر
والموت أضحى رغبة ● والعيش أشقى من سقر
والناس تبكي حظها: ● يا ليتها مثل البشر؟
جُلُّ الشباب استياسوا ● قد قَرّروا صعب السفر
راموا كلاماً حالماً ● عن سحر غرب يحتضر
خاضوا بحاراً غُرَّلاً ● ألقوا بنفس في خطر
يا أمتي هل ترتضي ● هذي المآسي والصور؟
ما دامت الأوطان تـ ● ـخضع للعدو بلا نظر
والصادقون استبعدوا ● من كل رأي أو أثر
لن تمطر الأقدار في ● أجوائنا غير الحجر
يجني العدو ثمارنا ● لكننا عُمْيُ البصر

5. وِلْيَمْ بْلِيْكْ: سفينةٌ شِراعيّةٌ

[انكلترا]

واقفٌ أنا على شطِّ البحر.
تمرُّ سفينةٌ شِراعيّةٌ
في نسيمِ الصّباحِ وتمضي نحوَ المحيط.
هي الجمالُ بعينِه، الحياةُ بعينِها.
أرنو إليها إلى أنْ تختفيَ في الأفق.
ثمّةَ بجانبي مَنْ يقول لي:
«ها قد مضتْ!»
مضتْ؟ إلى أين؟
مضتْ مِنْ أمام ناظِرَيّ،
هذا كلُّ ما في الأمر...
صارتْ مُنْتَهى دوماً في العُلى،
بدنُها قادرٌ دوماً على نقلِ حمولتِه البشريّة.
اختفاؤها مِنْ أمامِ ناظِرَيّ يحدثُ فيّ،
لا فيها.
وبالذّاتِ لحظةَ يقولُ لي أحدُهم بجانبي: «ها قد مضتْ»
ثمّةَ أيضاً آخرون وهم يرونها
تبزُغُ في الأفقِ قادمةً نحوهمْ،
يقولون بفرحٍ:
«ها هيَ!»
هُوَ ذا الموتُ.

6. ثيوفيل كوتّيي: خِلالَ الزّوبعة

[فرنسا]

المركبُ صغيرٌ والبحرُ فسيحٌ؛
والموجةُ تقذِفُنا غاضبةً نحو السّماء،
وتُعيدُنا السماءُ نحوَ المياهِ المعتوهة:
لِنُصَلِّ قربَ الصّاريةِ المحطّمة جاثينَ على رُكَبنا!

بيننا وبين الموتِ، مجرّدُ خشبة.
هذا المساءَ ربّما، فوقَ مَضْجَعٍ مُرّ،
تحتَ كَفَنٍ باردٍ مِنْ زَبَدٍ أبيضَ
سنذهبُ لِننام، يحرسُنا البرقُ!

أيّ زهرةَ الفردوس، أيّ أُمّنا العذراء،
الرّؤومَ على البحّارينَ إذا دَهَمَهُمُ الموتُ
خفّفي وطأةَ الرّيح، أخْرِسي الشّفْرة،
وادفعي بإصبعِكِ قاربَنا نحو المرفأ.

سنهبُكِ، إنْ خلّصتِنا،
فستاناً جميلاً مِنْ ورقِ فضّةٍ،
شمعةً ذاتَ جديلةٍ زهريّةٍ تَزِنُ أربعةَ أرطالٍ،
ولِيسوعِكِ يوحنّا صغيراً.

[من ديوان: إسبانيا، 1845]

7. فرناندو پسوا: بحر برتغاليّ

[البرتغال]

أيّها البحر المالح،
كم من ملحك
في دموع البرتغال!
لأنّنا عَبَرْناك،
كم من الأمّهات بكين!
كم من الأطفال ابتهلوا
للّه دون جدوى!
كم من خطيبة
لم تتزوّج،
كي تكون لنا، أيّها البحر!
أكان ثمّة من داعٍ لذلك؟
لكلّ شيء داعٍ
إن لم تكن الروح ذليلة
من أراد تجاوز رأس بوجادور
عليه أن يتجاوز الألم.
وهبَ اللّه البحر لجّة وأهوالاً.
لكنّه على البحر عكس السّماء.

[من ديوان: رسالة، 1934]

8. يانّيس ريتسوس: طرقات

[اليونان]

شيئاً فشيئاً تتاكل البيوتات
بالملح، الشّمس، الماء.
ذات يوم، ثمّة حيث كانت نوافذ وأناس،
لم تبقَ إلّا أحجار اعتلتها الرّطوبة،
وتمثال، وجهه للأرض.
الأبواب، وحدها،
تسافر على البحر،
صلبة، متمرّنة، خرقاء.
أحياناً، عند غروب الشّمس،
نراها تتلألأ في كامل استوائها
فوق المياه المغلقة للأبد.
الصّيّادون لا يلقون عليها ولو نظرة.
لقد جلسوا في بيوتهم باكرا جداً،
أمام الفانوس،
يصغون للأسماك
تنزلق من خلال شقوق أجسادهم،
يصغون للبحر يطرقهم
بألف يد (كلّها مجهولة)،
ثمّ يهوون نائمين،
والأصداف متشبّكة بشعرهم.
فجاة، يسمعون دقّاً
على تلك الأبواب فيستيقظون.

[من ديوان: شهادات، 1957-1966]

9. يانّيس ريتسوس: ملحوظة ربيعيّة

[اليونان]

جسد متروك،
أحرقته الشّمس،
عارٍ تماماً،
ما خلا ساعة اليد
التي تلمع
وسط ضربات المطرقة،
وسط الأخشاب الممدّدة،
المصقولة،
العاكسة لكلّ شمس النّهار
كشمس منمنمة،
تطفو فوق الدّم الحارق
والمتمرّد كليمونة
رماها مركب غريق.

[من ديوان: الحائط في المرآة، 1967-1971]

10. بهجت إيسان: الموتُ سفينةٌ بيضاءُ

[تركيا]

وأنتَ تقرأُ هذه القصيدةَ
ساكونُ ربّما في مدينةٍ أخرى
أعِدُّ لرحلةٍ طويلة،
لرحلةٍ وحدي
رحلةٍ تحكي عن خريفٍ مَرَّ بسوءٍ
وعنْ حُبٍّ بلا أملٍ...
كإعلاناتٍ كُتِبَتْ
على أوراقٍ شتّتتها الريحُ
دونَ أن توزَّع...
لأنّ الموتَ سفينةٌ بيضاءُ
تدعوها البحارُ المظلمةُ...
فالسّفينةُ الغريقةُ
كنجومٍ انْطفأتْ
والموتُ تبدو
عناوينَ تائهةً.

11. سانْدْرينْ ميشيك: سفينةُ الموت

[تركيا]

أيّ ريحُ اجّعي اندفاعَتكِ
تهزّين الموج
فيصابُ المحيطُ بالشّعارِ

أيّ موجةُ هدّئي مياهَكِ
أيّ موجةُ هدّئي مياهَكِ
ففي غُرضِكِ سفينةٌ
رافةٌ بالطّاقَمِ

أغيثي أولاءِ البحّارةَ
فحياتهم في خضمّ الموج
ليستْ هيّنةً
وتجرفُ سفينتَهم

أيّ ريحُ اجّعي اندفاعَتكِ
أيّ ريحُ اجّعي اندفاعَتكِ
فأنتِ تمزّقينَ الأشرعةَ
أوقفي هبّاتكِ

أيّ موجةُ هدّئي مياهَكِ
أيّ موجةُ هدّئي مياهَكِ
أوقفي تارجُحَكِ
وصيري رقيقةً ورزينةً

الزّوارقُ تترنّح
حشا السّفينةِ يتمزّق
لِتموتَ فوقَ الماء
فَضلّوا، أيّ بحّارةٌ، للهِ

لقد كانوا، أيّها المحيطُ المتعجرفُ
أبناءَكَ
كانوا يحلمون بأسفارٍ
نحو ضفافٍ بعيدةٍ

طيري، أيّ أطيارَ البحارِ
طيري، أيّ أطيارَ البحارِ
توافدي نحو الميناءِ
واحكي غرقَ السّفينةِ

قولي للأراملِ
إنّهم ماتوا أبطالاً
إنهم يفتحون بما فعلوا
الطّريقَ نحو الغدِ.

المصادر

● رامي العاشق. «لم ينتبه أحد لموتك». «دار ميسلون للنشر والتوزيع». إسطنبول. 2018.
● حسن الوفيق - «النصر آت» - «مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات». فاس. 2021.
● www.aria-ceremonie-funeraire-lyrique.com/le-voilier-william-blake
● Théophile Gautier: España, collection “Folio/classique”, Gallimard, Paris, 1981.
● Fernando Pessoa: Message, José Corti, Paris, 2018.
● Yannis Ritsos: Le mur dans le miroir, collection “Poésie”, Gallimard, Paris, 2001.
● https://lesecondsouffle.fr/la-mort-est-un-bateau-blanc
● https://short-edition.com/fr/oeuvre/poetik/le-bateau-de-la-mort

دراسة

محمد الكرّاي... ماركسيّ يشاغب في صفّ الفلسفة

عفيف عثمان *

ثمة افتتان في صوغ العناوين ووسمها بعبارة «الأخير»، سواء كان ذلك في السينما، مثل شريط «الساموراي الأخير» (2003) للممثل الأميركي توم كروز، أو في الأدب نظير رواية المصري أحمد أمين «الأندلسي الأخير» (2015)، وعمل الأديب الجزائري واسيني الأعرج «حكاية العربي الأخير 2084» (2017)، إذ تحمل الكلمة قدراً كبيراً من الدراماتية ومن الإحساس بأننا نغادر زمناً ولّى ولن يعود. وكذا الأمر في «محمد الكرّاي... الماركسيّ الأخير ــ سيرة نضالية ومسيرة فلسفية» (دراسة وإعداد وتقديم خالد البحري ومحمد البشير قلوز/ دار «سوتيبا غرافيك»/ تونس). فسيرة التونسي محمد الكرّاي (1928 – 2000) المتحدّر من مدينة صفاقس وابن الشيخ الورع علي الكرّاي، كما تتبعها الباحثان الأكاديمي خالد البحري والديبلوماسي السابق وأحد تلامذة الكرّاي محمد البشير قلوز، تساعد في رصد الحركة الفكرية، ولا سيّما الشأن الفلسفي تدريساً وتأليفاً. والكتاب محاولة لرد الاعتبار إلى شخصية مناضلة وناشطة أهمل ذكرها في الأدبيات التي ارّخت للحركة الشيوعية التونسية. فالرجل ناضل في صفوفها حتى الرمق الأخير، وهو جزء من تاريخها، ومن المساهمين البارزين في توطين الدرس الفلسفي في بلاده وفي تنوير عقول المتعلمين، والباحثان يدرجان عملهما في «سيّاق رد اعتبار أخلاقي وفي إطار اعتراف فلسفي» لمن درّب أجيالاً على التفكير المنهجي ودلّهم على سبل التحرر.

تبدو أهمية الكرّاي في السياق الزمني الذي قدّم فيه دروس الفلسفة لطلبة البكالوريا في عام 1964 – 1965 باللسان الفرنسي، فكان أول تونسي مسلم يقوم بهذه المهمة، فغالبية المدرسين من التابعية الفرنسية أو من اليهود التونسيين، وقد سبقه في تقديم الدروس كارمل كاميلاري، التونسي ذو الأصول المالطية، وكان الكتاب المعتمد لطلبة البكالوريا في الفترة الاستعمارية هو كتاب أرمان كوفيلّيه المعنون «دليل الفلسفة لطلاب صفوف الفلسفة».

ويُبعد الأستاذ الكرّاي مع الراحل محجوب بن ميلاد (1916 – 2000) من ولاية بنزرت، من أوائل مدرّسي الفلسفة الذين شكّلوا البنية الذهنية لعدد كبير من النخب المثقّفة والمدرّسين على امتداد عقود ثلاثة من تاريخ تونس المعاصر، كانت الصراعات فيها على أشدّها مع «الكولونيالية وأذنابها ومع الجهل وسدنته، ومع النظام القائم وزبانيته، ومع الإمبريالية وعبيدها»، وفي خضمّها شُكّلت السياسات التربوية والتعليمية والثقافية.

وللأستاذ رأيه في مسألة «تعريب الفلسفة» المطروحة بقرار وزاري صدر في عام 1975، بزعم مواجهة النزعة اليسارية المتغلغة في الأوساط الطالبية، وكان رأيه أنّ ذلك الأمر «لا يمكن أن يحقق أهدافه البيداغوجية والتربوية إلا إذا استند إلى رؤية منهجية وعقلانية منزّهة عن أي اعتبارات غير علمية». ويُحسب له انتصاره للدرس الفلسفي الخالص ورفضه الخلط بينه وبين تدريس مادة الفلسفة الإسلامية، وفي دفاعه الشديد عن قيمة الفلسفة وروحها، وفي عرفه أن المعلم الجيد هو ذاك الذي يدرب تلامذته على التفكير بأنفسهم وفاقاً لنصيحة الفيلسوف الألماني أمانويل كانط القائل: «تجرّأ واستخدم عقلك».

ولم يسع الشيوعي، الذي زار الاتحاد السوفياتي آنذاك والصين، للتأثير العقدي في تلامذته، بل كان يدربهم على «المساءلة النقدية والتفكير المنهجي»، مستنداً في قناعاته ونقاشاته باستمرار إلى الأفكار الماركسية. وهو المهتدي إليها على يدي محمد النافع (1917 - 2007)، رئيس فرع الحزب الشيوعي في صفاقس، والذي سيتولى في نهاية الأربعينيات من القرن العشرين المنصرم، الأمانة العامة للحزب، كما تتلمذ على يدَيْ أستاذ الفلسفة الفرنسي الشيوعي جان فينيو.

من خلال مصادر الباحثين الغنية والشهادات الكثيرة، يُعد الكرّاي أول أستاذ فلسفة يدرج مؤلف كارل ماركس وفريدريك أنجلز «بيان الحزب الشيوعي» (1848) وشعاره الشهير «يا عمّال العالم اتحدوا»، وعمل ماركس «الحرب الأهلية في فرنسا» (1871)، ضمن الأنشطة الدراسية المخصصة لدراسة كتاب فلسفي. ثم إنه كان ينظم حلقات فكرية عمومية ومفتوحة لقراءة مؤلفات ماركس وشرحها. وقد جهد في أن يبقى مستقلاً في تفكيره خارج أطر الستالينية (جوزيف ستالين) أو الماوية (ماوتسي تونغ) أو الألبانية (أنور خوجة)، وبعبارات الكتاب، كان الكرّاي «يخوض تجارب النضال ويعمل على تفعيل أفكاره وآرائه من جهة، ويسعى للتمايز عن غيره من رفاقه وعدم الذوبان في خط أي كان، من جهة أخرى».

وبحكم هواه الشيوعي، انخرط باكراً في الأنشطة النقابية، فانتمى إلى «اتحاد الطلبة التونسيين» (U.E.T) أيام الدراسة، وإلى نقابة التعليم الثانوي وبالتالي إلى «الاتحاد العام التونسي للشغل»، وقد فُصل منه مع زميلين له، حين شُكّلت جبهة معادية للشيوعيين وتمّ نعتهم بـ«أنصار التطاحن الطبقي». وكان له حضوره في الجمعيات الثقافية التي عنيت بتوعية الناس حول مشكلاتهم، سواء من خلال المحاضرات أو نوادي السينما وعرض الشرائط المعبّرة عن الهموم والمشكلات الاجتماعية ذات البعد الأنسي، ولا سيّما أفلام الواقعية الإيطالية التي عبّر عنها كل من فيسكونتي، والبيرتو لاتوادا، وهي أفلام تدعو إلى التأمل والتفكير في حالة البؤس المعمّمة التي اجتاحت البشرية. ونختم بما قاله الباحثان عن مسيرة وسيرة محمد الكرّاي، وهو ليس آخر الماركسيين: «عاش ملحداً واعترف عند الغسق، بأنه لا يمكن إكراه أيّ كان على الإيمان».

* كاتب لبناني

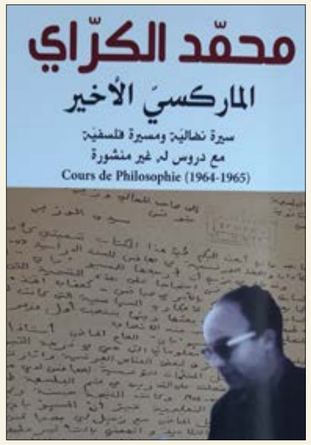

لم يسع للتأثير العقدي في تلامذته، بل درّبهم على «المساءلة النقدية والتفكير المنهجي»

رواية

محمود شقير يتأمل «تلك الأزمنة»

تغريد عبد العال

في الجزء الثاني من سيرته الذاتية «تلك الأزمنة» (دار نوفل ـ 2022)، يمر الروائي والقاص الفلسطيني محمود شقير (1941) على الزمن الذي مضى ليقول أشياء كثيرة عنه، كأنه يتأمل كل ما حدث في منعطف هام في حياته وهو في عمر الثمانين. يدعونا لنتأمل معه في حياة زاخرة بالإبداع والشخصيات والأحداث والمواقف وحتى العائلة والأحفاد. تأتي قوة السرد من دعوتنا إلى تأمل معنى أن يكتب كاتب سيرته، ليتحدث بكل بساطة وسلاسة عن أخطائه وكتبه وأحفاده وحياته التي عاشها وهو متمسك بأفكاره ومبادئه. نرى كيف تتقاطع هذه الأفكار مع حياة هذا الكاتب القدير وكيف يعيد هو قراءة ما قاله عن الآخرين وما قالوه عن كتبه. ينحاز كما قال في بداية الكتاب إلى ما قاله الكاتب هنري ميللر في كتابه «منعطف الثمانين»: «وأنا في الثمانين أحكم على نفسي بأنني أكثر مرحاً مما كنت في العشرين أو الثلاثين». وهنا نتابع بشوق كيف استطاع ابن جبل المكبر في القدس أن يكتب قصصاً من وحي الواقع، لكنه أكملها بالخيال، لأنّ علاقات الحب لم تكن ممكنة في قريته إلا بالسرية. لذلك، كتب قصته «أحلام الفتى النحيل» التي تتحدث عن مهند الذي يلتقي بحبيبته ناديا، وكيف انصرف بعدها إلى النشاط السياسي وكتابة المقالات السياسية. اعتقل محمود شقير أكثر من مرة، والتحق بـ«حزب الشعب» وهو في الثامنة والعشرين من عمره. يجعلنا الكاتب هنا نتأمل أيضاً معنى النضال السياسي والإبداع في حياة كاتب فلسطيني، صدر له أكثر من واحد وسبعين مؤلفاً، والعديد من النصوص المسرحية والسيناريوات للمسلسلات التلفزيونية.

في بداية الفصل الثالث، يذكر الكاتب قولاً لغاستون باشلار «نصبح أشجاراً حينما لا ننهك الأرض بأسفارنا». وحقاً يعود الكاتب إلى تلك الذكريات كأنها أسفار إلى مكان مألوف، فيتذكر أنه على أبواب الثمانين ما زال مراقباً لتصرفاته وأقواله وممارساته. فيقول عن علاقة ذلك بالكتابة: «صحيح أنني مجدد في الكتابة كما أزعم، غير أنني أنحاز إلى الانضباط حتى أثناء ممارسة التجديد». ويعزو ذلك إلى الانضباط الحزبي.

يشاركنا الكاتب أيضاً ما يجول في قلبه من قلق حول عدم ظهور أي رد فعل مكتوب على روايته الجديدة «ظلال العائلة» فيسأل: هل هي دون المستوى؟ ومن أراء النقاد إلى رأيه هو أيضاً في الكتب والروايات واختلافه مع بعض النقاد حول بعض الروايات، ومنها روايات غالب هلسا ونجيب محفوظ وإبراهيم نصر الله. هو يعتب على نفسه أيضاً حين قال عن رواية «الشبّاح» لإسماعيل فهد إسماعيل بأنّها باهتة وغير مقنعة على خلاف ما قال عنها محمود أمين العالم واكتشف بعد سنوات عندما أعاد قراءتها أنها جديرة بالتقدير لما انطوت عليه من لغة جميلة.

وبينما يتحدث شقير عن الكتب، يعيدنا إلى البيت وإلى صوت جرس ابنته أمينة الذي يقرع في الغرفة. يحدثنا طويلاً عن ابنته بالم التي أصيبت بمرض ضمور العضلات وهي في العشرين من عمرها. جرس منبّهها يرن باستمرار ليهرعوا لمساعدتها، والعبء الأكبر يقع على أمها رغم أن الجميع يساعدونها.

وللحفيد مهدي أيضاً مكانة مهمة في حياة الأديب محمود شقير الزاخرة بالوجوه والأحداث. يتحدث بعمق عن علاقته به، وكيف الهمته هذه العلاقة في الكتابة أيضاً. والمثير أيضاً هو كيف تأثر ابنؤه بأفكاره. فالجميل هو أن نكتشف عمق تلك الأفكار وتأثيرها على الأشخاص من حوله ولا سيما أبنائه، فيذكر الأديب أنّ أبناءه قد تأثروا. أما أحفاده وحفيداته، فليس كثيراً لأنّه لم يعد متحمساً لأي حوار.

ينتقل الأديب إلى رسائله إلى الأسرى في فصل خاص بدأه باقتباس لمحمود درويش «لا وقت لدي لأكره من يكرهني، فأنا مشغول بحب من يحبني». فيكتب رسالته إلى الأسير حسام زهدي، والأسير مروان البرغوثي عضو اللجنة المركزية لـ«حركة فتح» في سجن هداريم، وأحمد سعدات الأمين العام لـ«الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» في سجن رامون، وباسم خندقجي عضو اللجنة المركزية لـ«حزب الشعب» الفلسطيني في سجن جلبوع، وإبراهيم مشعل في سجن هدارايم، وحسام زهدي شاهين في سجن رامون، والشابة آمنة منى في سجن الدامون، ورائد السلحوت في سجن جلبوع. ويذكر الأديب أيضاً أولئك الذين التقاهم لمرة واحدة منهم الشهيدان الكاتب غسان كنفاني وفنان الكاريكاتور ناجي العلي، والكاتبة نوال السعداوي. ويذكر أيضاً في فصل سابق تعرّفه إلى الكاتبة الكورية الجنوبية هان كانغ أثناء انعقاد «برنامج الكتابة الدولي» عام 1998 في مدينة أيوا الأميركية.

وعن شعوره بالرضى عن إبداعه الأدبي، يكتب: «حين أنظر إلى السنوات الطويلة التي أمضيتها في كتابة القصص والنصوص، فإنني لا أشعر بالتقصير. مع ذلك، أرى من واجبي أن أنجز مزيداً من الكتابة الإبداعية بالنظر إلى ما يتهددني شخصياً ويتهدد أسرتي وأبناء شعبي، ويتهدد فلسطين بشكل عام والقدس بشكل خاص من مخاطر مبعثها العدوان الصهيوني المستمر على بلادنا وعلى أبناء شعبنا أجمعين». المتأمل في سيرة محمود شقير، يشعر بأهمية الكتابة عن الكتابة وعن الحياة اليومية للكتاب. ففي ذلك دخول إلى الحديقة الخلفية للكتابة والإطلالة على حياة تلهم الكتابة الأدبية وتتقاطع معها، لا سيما تلك العلاقة مع الأبناء والأحفاد ومع الأسرى والكتاب والحياة السياسية. ينهي الكاتب عمله بثلاثة ملاحق: الأول عن يوميات ابنته أمينة مع المرض، والثاني قصة قصيرة بعنوان «الغسيل»، والثالث هو مقتطفات من نصوص كتبها أصدقاء وصديقات احتفاء ببلوغه الثمانين. هنا نمشي مع الزمن وهو يحدثنا معنى أن تكون في مكان آخر في العمر، وتطل على حياتك لتقول أشياء عنها في سرد لا يمرّ تدريجاً بل يتداخل. تلك الأزمنة هي المكان الذي يصل إليه الروائي محمود شقير وتستمر الرحلة بما أثثه من أفكار وأحلام على الطريق.

يتوقّف عند رسائله إلى الأسرى في فصل بداه باقتباس لمحمود درويش

ليتيسيا كولمباني... نسويّة ولكن!

سلوى دبوق

تنتمي رواية «الظافرات» (2019) للكاتبة الفرنسية ليتيسيا كولمباني (صدرت حديثاً ترجمتها العربية عن «صفحة سبعة» ـ ترجمة فائزة بودبوس) إلى ما بات يعرف عالمياً بأدب الرعاية. أدب يسعى لتوفير أشكال معينة من الرعاية الخطابية والسردية ومنح مساحة واسعة للمهمشين والمنبوذين والمعذبين في الأرض من خلال منعهم أدوار البطولة. تحكي الرواية قصة سولين وهي محامية لامعة من الطبقة البورجوازية تجاوزت الأربعين، تشعر بأنّ عالمها ينهار حين ينتحر مُوكلها أمام ناظريها رامياً بنفسه من الطبقة السادسة من قصر العدل. بعد هذه الحادثة، تُصاب سولين باكتئاب وترفض العودة إلى مكتبها. في محاولة لمساعدتها على تجاوز أزمتها، يعرض عليها معالجها النفسي القيام بأعمال تطوعية خيرية تُنسيها أحزانها، فتقبل بوظيفة كاتب عمومي في مكان يدعى «قصر النساء». هناك تلتقي بالعديد من النساء المنسيات والمُهمشات البعيدات جداً عن عالمها المُرفه والمدلّل: لاجئات هاربات من الظلم أو معنفات من قبل أزواجهن أو حتى مغتصبات. لكل امرأة قصة حزينة تُخفيها عن الآخرين. تسعى سولين لمساعدة هؤلاء النساء البائسات اللواتي يرفضن مشاركتها مأسيهن ويعاملنها بحذر في البداية، لكن ينتهي الأمر بأن يُصبحن صديقاتها المقربات، وتُصبح هي وسيلة لنقل معاناتهن من خلال كتابة رسائلهن. في الخلفية، تدور قصة أخرى هي قصة بلانش بيرون (1867-1933) وهي امرأة حقيقية عاشت في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وكانت قائدة هي وزوجها في «جيش الخلاص» الذي يهدف لمساعدة الفقراء والمحتاجين. تمنحنا ليتيسيا كولمباني فرصة التعرف إلى شخصية بلانش الإنسانية والتحديات التي واجهتها في مجتمع محافظ، ونضالها الطويل من أجل تغيير العالم وجعله مكاناً أكثر رحمة وأمناً للفقراء والمستضعفين. لقد بذلت هذه السيدة جهوداً خارقة وخاطرت بصحتها المتدهورة لجمع الأموال لشراء فندق يحتوي على 743 غرفة وإعادة تأهيله بغرض تحويله إلى قصر للنساء في باريس وإيواء كل المُعدمات المعنفات اللواتي لم يجدن مسكناً يحميهن من قسوة العالم الخارجي. يدور السرد بين زمنين مختلفين، يتجول الراوي العليم في أروقة الماضي، مستخدماً تقنية الاسترجاع الفني، لتسليط الضوء على قصة بلانش بيرون وتضحياتها من أجل تأمين ملجأ للنساء. ثم يعود الراوي إلى الحاضر ليخبرنا عن سولين التي تحاول مواجهة أزماتها من خلال العمل التطوعي في القصر الذي أسسته بلانش منذ مئة عام. لكن لماذا تُصنّف هذه الرواية ضمن فئة أدب الرعاية الذي يلاقي أصداء واسعة أخيراً؟ «الرعاية» وفقاً لإحدى أهم منظراتها الفيلسوفة الأميركية والناشطة النسوية جوان ترونتو «هي نشاط عام ينتظمن كل ما نقوم به للحفاظ على عالمنا وإدامته وإصلاحه، حتى نتمكن من العيش فيه قدر الإمكان. يشمل هذا العالم أجسادنا وأنفسنا وبيئتنا». هذا التعريف ينطبق على هذه الرواية التي تضيء على البؤس الذي تعيشه الكثير من النساء وتحاول إعطاءهن صوتاً من خلال لفت الأنظار لعذاباتهن. تعتبر ترونتو أنّ الرعاية تقوم على أربع أسس هي: الاهتمام، تحمّل المسؤولية، تقديم الرعاية، وتلقّي الرعاية. الاهتمام هو ما فعله ليتيسيا كولمباني من خلال بطلتيها سولين وبلانش عندما لاحظتا وجود هؤلاء النساء الضعيفات وانتبهتا لحاجاتهن العاطفية والمادية. العنصر الثاني هو تحمل المسؤولية، إذ أخذت الكاتبة على عاتقها نقل معاناة النساء ومطالبة المجتمع بالقيام بواجبه تجاههن والتضامن معهن. أما تقديم الرعاية فيتم من خلال كتابة أوجاعهن لاطلاع العالم عليها وإعادة التواصل بينهن وبين عائلاتهن، وهذا ما فعلته سولين عندما كتبت مثلاً رسالة إلى ابن إحدى السيّدات المقيمات في قصر النساء، لتخبره عن الأسباب التي دفعت والدته لتركه في غيابها والهرب من أجل إنقاذ حياة شقيقته من عادات قبيلتها الأفريقية التي تضطهد النساء وتجبرهن على ختان البنات، فيتجاوب الفتى ويبدأ بالتواصل مع والدته. أما تلقي الرعاية فتقصد بها ترونتو تقييم مدى استجابة المتلقي ومدى استعداده لقبول المساعدة وطبعاً هذا النجاح هو نسبي ويختلف من حالة إلى أخرى. فقد نجحت سولين في الاعتناء بليلي، الفتاة المُشردة التي تنام في الشارع، حين وجدت لها عملاً لائقاً ومكاناً للإقامة، ولكنها فشلت مع سينتيا ولم تستطع مساعدتها رغم محاولاتها لاحتوائها لكن دون جدوى، إذ تستسلم سينتيا لظروفها القاسية.

تنطلق هذه الرواية من خلفية نسوية، ومن الواضح للقرّاء أنّ الكاتبة تسعى لتمكين المرأة وطرح قضاياها والدفاع عن حقوقها، فهي تتناول مسائل التهميش والفقر المدقع الذي تنوء تحت ثقله النساء، بالإضافة إلى العنف الممارس ضدهن، لكن الرواية تفتقر إلى العمق المطلوب لمعالجة هذه القضايا المهمة، فقد تم تناول هذه الثيمات على عجل من دون إيلائها العناية السردية اللازمة، ما جعلنا نشعر كقراء أنّنا أمام استعراض سريع لحالات اجتماعية صعبة بدون الغوص في تفاصيلها وأسبابها الحقيقية وخلفياتها. كما لو أنّ الكاتبة سكبت كل هذه القضايا النسوية في طبقٍ واحد، ليزدردها القارئ بسرعة قياسية. أما الشخصيات النسائية التي رسمتها فمالت للتسطيح النفسي والعاطفي، ولم نستطع كقراء التعلق بها والشعور بتعاطف معها، ولم نستطع النفاذ إلى دواخلها وفهمها من الناحية السيكولوجية بسبب ضعف المعالجة الفنيّة. كان حريّاً بالكاتبة استخدام المونولوغ الداخلي والحوار وإعطاء المزيد من المعلومات عن تاريخ الشخصيات وسماتها وتصرفاتها وانفعالاتها في المواقف الحياتية المختلفة، لتكون مقنعة من وجهة نظر القارئ. كما أنّ الرواية لم تُشر لدور المجتمع الرأسمالي في تهميش هؤلاء النساء عبر تبخيس قيمة عمل المرأة وتمييزها من ناحية الأجور والتقديمات الاجتماعية والتقليل من قيمة عمل ربّة المنزل، فلا يمكن للنضال النسوي بشكل عام والأدب النسوي بشكل خاص إلا أن يكون مناهضاً للعنصرية والرأسمالية والإمبريالية، لأنها تمثل نماذج فكرية وتنظيمية للمجتمع قائمة أساساً على اضطهاد المرأة.

«الظافرات» رواية قد لا ترتقي لروائع الأدب الفرنسي والعالمي، لكنها تستحق القراءة كونها تضيء على معاناة المرأة وتدعو إلى التكاتف بين النساء ودعمهن اقتصادياً ومهنياً. الإيجابية المؤكدة التي تُحسب للرواية أنها أسهمت في إخراج امرأة عظيمة هي بلانش بيرون من غياهب التاريخ ونفضت الغبار عن نضالاتها التي تثبت أنه بإمكاننا جميعاً، مهما كانت قدراتنا متواضعة، فعل شيء ما لجعل هذا العالم مكاناً أفضل للعيش.

لم تُشر لدور المجتمع الراسمالي في تهميش هؤلاء النساء

لمحات

خزعل الماجدي

■ يناقش خزعل الماجدي في كتابه «الحضارة اليمنية» الصادر بجزأين عن «دار الرافدين» عناصر الحضارة اليمنية التي تُعتبر جوهرة نادرة بين حضارات العالم القديم. يُحلل الباحث العراقي العناصر الجغرافية، التاريخية، السياسية، القانونية، العسكرية، الدينية والاقتصادية التي قامت عليها الحضارة اليمنية. يرى أنّ هذه الحضارة استطاعت ترويض بيئتها الجغرافية والمناخية الصعبة لصالح بناء قاعدة زراعية متقدمة، رغم قلة الأمطار الموسمية وعدم وجود أنهار في اليمن. يصف الظروف الصعبة التي دفعت أهل اليمن إلى الابتكار العبقري وبناء السدود والصهاريج والأحواض الصخرية، ثم التحكّم بسهول الطمي وكمية الأمطار بهدف خلق بيئة زراعية خصبة أنتت غذاء أهل المنطقة وجعلتها مصدراً للبان واللادن والبخور والعطور والتوابل، حتى صارت هذه البلاد مركز العالم التجاري لهذه المنتجات، ومنحها هذا الإنجاز فرصة التلاقح مع مختلف حضارات وشعوب العالم.

رحمة ضياء

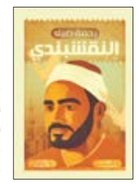

■ تبحثُ نصرة الموظفة في هيئة الصرف الصحي، عن معنى لحياتها بعد بلوغها سن الأربعين، فتقرر أن تحقق حلمها القديم في كتابة رواية عن النقشبندي. وفي رحلة بحثها، تسافر إلى ظنطا، لكنها تُصاب في حادث يُغير حياتها. تسعى الكاتبة المصرية رحمة ضياء في روايتها «النقشبندي» (دار الشروق) لبناء سيرة مُتخيّلة للمنشد الصوفي المعروف الشيخ سيد النقشبندي الذي تميز بامتلاكه أحد أقوى وأوسع الأصوات مساحةً. يدور السرد داخل العمل الروائي في زمنين مختلفين: زمن «نصرة» البطلة في الوقت الحاضر، وزمن النقشبندي في الماضي. يمزج النصّ الواقع الموثق بالخيال بطريقة مُحببة تجذب القارئ. وقد بذلت الكاتبة جهداً كبيراً في بحثها عن شخصية النقشبندي وتاريخ الطريقة النقشبندية في الصوفية. كما تقدّم سرداً لمرحلة مهمة من تاريخ مصر في الفترة التي عاشها النقشبندي، فتصف أحوال البلاد من الناحية السياسية والاقتصادية والثقافية.

خالد فراج

■ يوثق «استشهاد شيرين أبو عاقلة: سجل توثيقي» (تقديم وتحرير خالد فراج ــ مؤسسة الدراسات الفلسطينية) ملابسات وظروف استشهاد الصحافية الفلسطينية شيرين أبو عاقلة. يرصد الفترة التي سبقت الاغتيال، من التصعيد الإسرائيلي في جميع مناطق الضفة الغربية، وصولاً إلى التصعيد الكبير الذي قامت به إسرائيل في مخيم جنين في تلك الفترة. كما يرصد لحظة الاغتيال وما تبعه من ردّات فعل دولية وعربية وفلسطينية. يعرض الكتاب أيضاً الروايةَ الإسرائيلية المتخبطة منذ اللحظة الأولى، ويوثق الاعتداء الوحشي على جنازة شيرين، وما تلاها من ردات فعل غاضبة. يتضمن هذا السجل التوثيقي أيضاً بيانات ومواقف للمنظمات الحقوقية الدولية المطالبة بإجراء تحقيق نزيه في الاغتيال، بالإضافة إلى نتائج التحقيقات التي أجرتها كبرى وسائل الإعلام، وأيضاً تحقيق الشرطة الإسرائيلية، ونتائج التحقيق الأميركي في 4 تموز (يوليو) 2022.

خوليا اوتشوا

■ تُقدّم الكاتبة الإسبانية الباسكية خوليا أوتشوا في مجموعتها القصصية «مكان في الحديقة» (2010) الصادرة بالعربية أخيراً عن «دار الخان للنشر والتوزيع» (ترجمة سعيد بنعبد الواحد) أربعين قصة قصيرة. تتميز هذه القصص بأسلوبها المتفرّد، فكل قصة منها مكتوبة بطريقة مختلفة ومتميزة عن الأخرى. فمن قصة امرأة مهووسة بتخفيضات المتاجر، إلى قصة بعوضة تعيش يوماً واحداً عادياً تُدمر بعده العالم عن غير قصد، وقصة قناص يعيش طوال حياته يصطاد ويُكدّس الحيوانات والطيور في فناء منزله، ثم يشيخ وتقتني زوجته حيوانات وطيوراً كتعويض عن الأرواح الميتة التي قتلها زوجها... القصص مكتوبة بلغة شعرية جميلة تعكس تصوّر الفرد للوجود، وتقدم رؤيا عميقة للأشياء، وتُصرّ على عنصر السخرية والدهشة أو الإدهاش، وهي مفتوحة على عدد من المجالات والميادين كاللعب اللغوي وعلم النباتات، وعالم الحيوانات.

روبرت غالبريث

■ يذهب بيلي وايت إلى مكتب المحقق الشهير كورموران سترايك ليخبره عن جريمة شهدها عندما كان طفلاً ويزعم أنه رأى فتاة تقتل خنقاً أمامه. لكن الشاب بيلي الذي يعاني من اضطراب عقلي، لا يتذكر الأحداث بدقة، ويهرب قبل أن يتمكن المحقق من استجوابه ومعرفة تفاصيل القضية. مع ذلك، يقرر المحقق الخاص الشهير كورمووران سترايك وشريكته روبن إيلاكوت أخذ بيلي على محمل الجد والبحث في ادّعاءاته. رواية «البيضاء القاتلة» (2018) للكاتب البريطاني روبرت غالبريث (الاسم المستعار لكاتبة البريطانية الشهيرة ج. ك. رولينغ مؤلفة هاري بوتر) الصادرة بنسختها العربية عن «دار هاشيت أنطوان/ نوفل» مليئة بالتشويق والإثارة والرومانسية، وهي الكتاب الرابع من سلسلة المحقّق كورموران سترايك، الذي يتابع رحلة المحقّق ومساعدته روبن إيلاكوت، في الكشف عن جريمة قتل، في حبكة بوليسية يسيطر عليها الاستخبار والتحرّي، في أجواء تمزج بين السياسة وتأثيرات السلطة والمال.

عبد الاحد السبتي

■ يرصد الكاتب المغربي عبد الأحد السبتي في «من عام الفيل إلى عام الماريكان» الصادر عن «منشورات المتوسط» الأسماء التي يُسمّي بها الناس الأعوام أو السنين بناءً على الأحداث المؤثرة التي طبعتها، ويذهب إلى الأعوام الكبرى في تاريخنا التي دخلت في الذاكرة الجمعية وما زالت تأثيراتها مستمرة حتى يومنا هذا مثل الحروب والمجاعات والأوبئة والكوارث الطبيعية. يؤكد السبتي أنّ أسماء السنين بقيت محفوظة في الذاكرة الشفوية، وأتت بعض كتب التاريخ على ذكرها باقتضاب منذ بداية التدوين التاريخي في العصر الإسلامي، لكنها وردت في السرديات الأدبية والفنية. يتناول الكتاب السنوات المؤثرة في التاريخ البشري بدءاً من عام الفيل الذي اصطحب فيه أبرهة الأشرم، ملك الحبشة، جنوده وأفياله بُغية هدم الكعبة وصولاً إلى العام الذي أرسل فيه روزفلت أساطيله الحربية لتنزل على شواطئ المغرب متجهةً لهدم برلين النازية، مدشناً بذلك عصر الثقافة الأميركية.

السبت 1 تشرين الأول 2022 العدد 4741
الأخبار al-akhbar
www.al-akhbar.com

أوراق

ذكرني فوك حمارَي أهلي

جوش براون ــ «حمار» (زيت وأكريليك على كانفاس ــ 61 × 61 سنتم ــ 2022)

زكريا محمد *

عندما كنت أعمل على كتابي الذي صدر قبل سنوات طويلة «ذات النحيين: الأمثال الجاهلية بين الطقس والأسطورة» عرض لي المثل أعلاه، ولم أتمكن من فهمه، لذلك لم أدرجه في الكتاب. وقد راودني وقتها شك في قصته التي بدت لي غير معقولة، وأنها ربما من اختراع لغوي أو قصاص، ولا تعكس ما يقوله المثل. لكنني لم أستطع أن أجد تخريجة ملائمة تجعل هذا المثل مفهوماً عندي. غير أنني كنت أعود إليه بين الحين والحين لعلني أجد تخريجة تجعلني أفهمه.

وقصة المثل تقول: إنَّ «رجلاً خرج يطلب حمارين كانا ضلاّ عنه، فرأى امرأة متنقبة، فأعجبته حتى نسي الحمارين فتبعها، فلم يزل يطلب إليها حتى سَفَرَتْ له [أي حتى كشفت وجهها]: فإذا هي فَوْهاء، فحين رأى أسنانها ذكر الحمارين، فقال: ذكّرني فوك حمارا أهلي» (الميداني، مجمع الأمثال).

يضيف أبو هلال العسكري: «يُضربُ مثلاً للرجل، يُبْصرُ الشيءَ فيذكُرُ به حاجةً كان قَد نسيَها. وأَصلُه أنَّ رجلاً خرج يطلبُ حِمارَيْنِ لأَهلِهِ أَضلَّهُما، فمَرَّ على امْرأَةٍ جميلَةِ المُنْتَقَب، فقعد يُحادِثُها ونسي حِماريه؛ لشغلِ قلبه بها، ثم سَفَرت فإذا لها أَسنانٌ منكرةٌ، فتذكَّر بها أَسنانَ الحمارِ، فانصرفَ عنها وقال: ذكَّرني فُوكِ حمارَيْ أَهلي» (أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال).

إذن، فقد اكتشف المعجب أن المرأة الجميلة المنقبة فوهاء، أي أنها بأسنان منكرة مشوهة، فابتعد عنها لاحقاً بحمارَيه اللذَين ضلاّ عنه أو ضلّ عنهما. فالفوه هو تشوّه الأسنان. والغالبية على أنه خروج الأسنان عن الشفتين: «الفَوَهُ أَيضاً: خُروجُ الأَسنانِ من الشَّفَتينِ وطولُها» (لسان العرب). لكن يجب الانتباه إلى أن المثل لا يذكر الفَوَه إطلاقاً في نصه. بذا ففكرة الفَوَه استنتاج من مفسري المثل لا غير. المثل يتحدث عن الفم فقط (فُوكِ). فقد تذكر الرجل حماريه اللذين نسيهما حين رأى فمها. وقد افتُرض بناء على ذلك أنه شبّه في مثله فمها بفم الحمار ذي الأسنان المنكرة. لكن المشكلة أن أسنان الحمير ليست شائهة إطلاقاً. على العكس من ذلك، فهي رمز للانتظام والتساوي في التقليد العربي. لذا يقال: «سواسية كأسنان الحمار» مثلما يقال: «سواسية كأسنان المشط». قال الشاعر: سواء كأسنان الحمار فلا ترى/ لذي شيبة منهم على ناشئ فضلاً. وقال آخر: شبابهم وشيبهم سواء/ فهم في اللؤم أسنان الحمار. أي أنهم متساوون في السوء.

عليه، فمن الصعب قبول فكرة أن المثل يشبّه أسنان المرأة الفوهاء بأسنان الحمار. فهو تشبيه بلا معنى، ومعاكس للحقيقة. فأسنان الحمار منتظمة مستوية متساوية. صوت الحمار هو المنكر لا أسنانه،

> أسنان الحمار منتظمة مستوية متساوية، وصوته هو المنكر لا أسنانه

كما جاء القرآن «إن أنكر الأصوات لصوت الحمير». وهو ما يعني أن كل محاولات تفسير المثل التي استندت إلى فكرة الفَوَه باطلة، ولا تنفع في تفسير المثل.

حسن جداً، لكن إذا ألغينا فكرة الفوه فما هو البديل لدينا؟

البديل على الشكل التالي في ما يبدو لي: لقد حدث تصحيف في كلمة «فوك» التي قادتنا بشكل خاطئ إلى «الفوه» رغم أنّ لا علاقة بين الأمرين. والتصحيف الذي حصل بسيط. فالكلمة في الأصل بالقاف، أي «قَوّك» لا «فوك». وبهذا التصحيف البسيط، انبهم المثل وصار غير مفهوم. ومن أجل تفسير مثل مصحف مبهم، فقد اخترعت القصة عن الرجل الذي هام بامرأة من النظرة الأولى، ونسي حمارَي أهله من أجلها، لكنه هرب منها حين اكتشف أنها فوهاء.

أما القَوّ، أو التقاوي، فهو مصطلح من مصطلحات التجارة، يتعلق بالبيع والشراء. وهو عملياً المزايدة على سلعة مشتركة بين طرفين أو أكثر. ويفوز بالسلعة من يضع الثمن الأعلى: «وفي حديث ابن سِيرين لم يكن يرى بأساً بالشُّرَكاء يَتَقاوَوْن المَتاعَ بينهم [وهو] أن يَشْتَروا سِلْعَةً رَخِيصة ثم يَتزايدُوا بينهم حتى يَبْلغوا غاية ثمنها يقال: بَيني وبين فُلانٍ ثَوْبٌ فتَقاوَيْناه أي أعطيتُه به ثمناً فأَخَذْتُه وأَعْطاني به ثمناً... ولا يكون الاقْتِواء في السِّلْعة إلّا بين الشركاء. قيل أصلُه من القُوّة لأنه بلوغ بالسِّلْعة أقوى ثمنها» (ابن الأثير المحدث، النهاية في غريب الحديث والأثر).

يضيف جواد علي: «وقد يشتري الشركاء سلعة رخيصة، ثم يتزايدون بينهم حتى يبلغوا غاية ثمنها، فيشتريها من يرسو الثمن عليه، ويأخذها. ويقال لذلك: التقاوي. ولم ير الإسلام بأساً بذلك. وفي حديث ابن سيرين لم يكن يرى بأساً بالشركاء يتقاوون المتاع بينهم فينمى ويزيد» (جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام).

ويزيد الزمخشري: «قاوى شريكه المتاع، وتقاووه بينهم، وهو أن يشتروا شيئاً رخيصاً ثم يتزايدوا حتى يبلّغوه غاية ثمنه، فإذا استخلصه أحدهم لنفسه قيل: قد اقتواه. قال: وكيف على زهد العطاء تلومهم/ وهم يتقاوون الفطيمة في الدم» (الزمخشري، الكشاف).

ويضيف أو عمرو: «المُقَاوَاة: تقول: قَاوِنِي إذ كان بَيْنَكُما شيء فأردْتَ أن يُسْلِمَه لك أو تُسْلِمَه له بثمن» (أبو عمر الشيباني، الجيم).

بناء عليه، يمكن لنا أن نفترض أنه كانت هناك عملية مقاواة، أي مزايدة على سلعة محددة، بين شريكين. لكن من نطق بالمثل أول مرة لم تعجبه طريقة مقاواة شريكه، أو قَوّه. لكن ربما كان من قاله شخص ثالث آخر غير الشريكين. وقوله كان استنكاراً لطريقة مقاواة الشريك التي ذكرته بحمارَي أهله. فحين ينهق أحدهما يزايد عليه الآخر بنهيق أقوى منه وأعلى. بذا فهو يشبه مقاواة شريكه بنهيق حماري أهله. أي أنه يقول له: هذا ليس تقاوياً، هذا تناهق حمير كما يتناهق عادة حمارا أهلي.

بذا، فضياع نقطة صغيرة هو الذي حوّل المزايدة على سلعة إلى قصة حب فاشلة، وغير منطقية.

على أي حال، فحمارا أهل صاحب المثل المتناهقان يذكران بالحمارين الشهيرين الذي ضرب فيهما المثل فقيل: كحماري العبادي. والعبادي هو الشاعر الجاهلي الشهير عدي بن زيد العبادي. وكانا له حماران كريهان. وحين سئل مرة: أي حماريك شر؟ قال: هذا ثم هذا. أي أنّ لا فرق بينهما في الشر والبؤس. وقد سرى قوله مثلاً: «قال أسلم مولى عمر بن الخطاب: مر بي عمر وأنا وعاصم نغني غناء النصب [غناء يشبه الحداء، لكنه أرق]، فوقف وقال: أعيدا علي، فأعدنا عليه، وقلنا: أينا أحسن صنعة يا أمير المؤمنين؟ فقال: مثلكما كحماري العبادي، قيل له: أي حماريك شر؟ فقال: هذا ثم هذا. فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا الأول من الحمارين؟ فقال: أنت الثاني منهما» (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة).

أما نحن فلدينا ثلاثة من حمير التسوية السلمية: حمار أوسلو، وحمار وادي عربة، وحمار كامب ديفيد. وكل واحد منهما لا يقل سوءاً عن الحمار الآخر.

Samedi 1 Octobre 2022 no36
السبت 1 تشرين الأول 2022 العدد 36

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

العدالة الأميركية تعويضات 2006... للمستوطنين

[3-2]

(أرشيف ـ الأخبار 2006)

عندما تصبح الإسلاموفوبيا ترفيهاً

4

تعذيب ممنهج في دولة حقوق الانسان

5

موقوفون رهن إضراب القضاة

7-6

جريمة منظمة راح ضحيتها العشرات غرقاً

أونلاين

القضية المركزية

منتصف الشهر الفائت، بعد 16 عاماً على عدوان تموز 2006 الذي ادى الى استشهاد 1131 شخصاً في لبنان، وخلّف آلاف الجرحى والمعوقين، اصدرت محكمة اميركية في نيويورك حكماً يلزم حزب الله بدفع 111.485 مليون دولار تعويضات لاميركيين «مقيمين» في فلسطين المحتلة اصيبوا باضرار - معظمها نفسي وعاطفي ومالي - خلال الحرب. ويتزامن الحكم مع تفاقم الأزمة الاقتصادية في لبنان وارتفاع منسوب التحريض الاميركي ضد الحزب في لبنان والمنطقة. وفيما يفترض ان يكون القانون الدولي الإنساني المرجع المعتمد للنظر في «جرائم الحرب»، إلا ان المحاكم الاميركية، على ما يبدو، «فاتحة على حسابها»

محكمة نيويورك
111 مليون دولار لأميركيين أصيبوا خلال حرب 2006

■ عمر نشابة

تقدم مواطنون أميركيون عام 2007 بشكوى جزائية امام محكمة نيويورك ضد حزب الله بسبب اصابتهم بصواريخ خلال عدوان تموز 2006. وخلصت الإجراءات القضائية

يتيح القانون الأميركي صدور الاحكام الغيابية في حال عدم اعتراض المتهم او عدم حضوره، وامام المتهم 14 يوم عمل للاعتراض

الأميركية التي استمرت نحو 16 سنة الى ادانة الحزب غيابياً وتحديد تعويضات بملايين الدولارات.

وفيما لم يعلّق حزب الله على الخبر، وهو أساساً لا يعلق على أخبار من هذا النوع ويتصرف على أساس انها لا تعنيه،

يتيح القانون الأميركي (القواعد الفيدرالية للإجراءات المدنية - القاعدة 55) صدور الاحكام الغيابية في حال عدم اعتراض المتهم او عدم حضوره. وبحسب أصول الإجراءات القضائية، أمام المتهم 14 يوم عمل للاعتراض، أي ان المهلة تنتهي في 6 تشرين الأول الجاري.

قد يبدو هذا الإجراء عادلاً إذ انه يتيح للمتهم الدفاع عن نفسه ودحض التهم الموجهة اليه امام المحكمة. لكن الحقيقة ان السلطات القضائية الأميركية نسفت قرينة البراءة وأصدرت حكماً مسبقاً قبل انطلاق المحاكمة، من خلال تصنيف الحزب منظمة إرهابية. ورغم أن القاضي ستيفن تيسيون كان قد رد الدعوة لعدم الاختصاص، إلا أن القرار استؤنف في 28 شباط الفائت امام القاضي براين كوغن الذي حكم بان «تحديد الاختصاص في هذه القضية

يعود للقاضي، حيث ان المتهم منظمة إرهابية اجنبية معروفة بشكل واسع بالتسبب بقتل الأبرياء» (مذكرة قضائية وأمر رقم 116، تاريخ 21 حزيران 2022). وبالتالي، بدت الإدانة واضحة وجاهزة وسبقت انعقاد المحكمة وعرض نتائج التحقيق والاستماع الى الشهود.

لا شيء يعوّض

قبل التطرق الى مضمون نص الحكم الأميركي، تنبغي الإشارة الى ان قيمة الأضرار المادية التي رتّبها العدوان الإسرائيلي ضد لبنان صيف 2006 (كما وردت في تقرير أوّلي أعده مجلس الإنماء والإعمار) تتجاوز 2.07 مليار دولار. كما تزيد قيمة الاضرار التي يتحمل مسؤوليتها العدو الإسرائيلي في لبنان بين 1948 و2006 على ثمانية مليارات دولار بحسب الخبير الاقتصادي كمال ديب، ناهيك عن عشرات الاف الشهداء والجرحى والمعوقين والايتام والمهجرين والمشردين جراء الاجرام الإسرائيلي، ممن لا قيمة معهم لأي تعويض مادي.

إصابات عاطفية ونفسية ومالية

وورد في نص الحكم ان حاييم كابلان وزوجته ريفكا واولادهما جرحوا بعد اصابتهم في 13 تموز 2006 بصاروخين، احدهما سقط قرب سيارة حاييم والثاني سقط في المنزل. كما ادعى افيشاي ريوفان وايليشيفا ارون انهما اصيبا في اليوم نفسه في مدينة صفد (المحتلة)، من دون أن الإشارة الى نوع الإصابات، بينما حدد النص ان حاييم كومر وزوجته نشامة اصيبا بـ«انهيار عصبي» استدعى نقلهما الى المستشفى. وادعت كارين اردستاين انها فقدت جنينها بسبب الـ«ستريس» الذي سببه صاروخ سقط قرب مكان اقامتها. واصيب برايز، زوج كارين، بصدمة بسبب الهجمات الصاروخية وفقد عمله بسبب انهيار السياحة جراء تلك الهجمات. أما الأولاد فاشار الحكم إلى أنهم يعانون «كذلك» من صدمات «عاطفية ونفسية». لوري رابيورت اصيبت بـ «ضرر عاطفي» بسبب إصابة ابنتها مارغاليت. واصيبت شايا القريف «نفسياً وعاطفياً بعد ان سقط صاروخ اطلقه حزب الله على بعد امتار قليلة منها». وادعى يائير مور ان معرض الفنون الذي يملكه في صفد أصيب بصاروخ في 19 تموز 2006 ما ادى الى «اصابته بشدّة، عاطفياً ونفسياً ومالياً». وادعى ميكيمي ستاينبرغ ان صاروخاً سقط في منزله في صفد يوم 11 آب 2006 بينما ادعى ثيودور وموريين غرينبرغ وجاريد سوتر ان شركاتهم المخصصة للسياحة تضررت بشكل كبير بسبب هجمات حزب الله الصاروخية.

ووجدت المحكمة ان التعويض للمدعين بسبب الهجمات الإرهابية التي تعرضوا لها يشمل التعويض المالي والاقتصادي و«رواتبهم التي فقدوها» بسبب الحرب. واللافت ان المحكمة اعتمدت تقارير وأحكاماً سابقة صادرة بحق كوريا الشمالية وأفغانستان وايران في قضايا مشابهة لتحديد حجم التعويضات المالية.

بعد سرد المزاعم والادعاءات وردت الجملة التالية في نص الحكم: «ان حزب الله، بمجرّد تخلفه عن الحضور، اعترف بأن هذه الادعاءات صحيحة». لكن كيف ذلك؟

ان عدم حضور حزب الله وعدم مشاركته في الإجراءات القضائية الأميركية يأتي بسبب عدم الاقتناع بان القضاء الأميركي عادل ومنصف ومستقل. كيف لا وقد صدرت الإدانة قبل انطلاق المحاكمة؟ أما الإقرار بالاعتراف بسبب عدم الحضور فهو مخالف لأبسط الحقوق الإنسانية وأصول المحاكمات العادلة.

اهمال القانون الدولي الانساني

بداية، فإن أساس الدعوة القضائية هو انتهاك قانون أميركي لـ«مكافحة الإرهاب» (18 الفقرة 2331-2339) الذي جاء فيه انه «يجوز لأي مواطن أميركي مصاب في شخصه أو ممتلكاته أو عمله بسبب عمل من أعمال الإرهاب الدولي، أو ممتلكاته، أو الناجين، أو الورثة، رفع دعوى قضائية ضده في أي محكمة محلية مناسبة في الولايات المتحدة، ويمكن أن يسترد ثلاثة أضعاف الأضرار التي تكبّدها وتكلفة الدعوى، بما في ذلك أتعاب المحاماة» (الفقرة 2333).

وأشار نص الحكم الى ان كل المدعين أكدوا للمحكمة انهم تعرّضوا لإصابات في شخصهم أو ممتلكاتهم أو عملهم بسبب هجمات حزب الله الصاروخية بين 12 تموز و14 آب 2006. وورد في الحكم ان «حزب الله اطلق آلاف الصواريخ على مدنيين في شمال إسرائيل» خلال هذه الفترة الزمنية.

لكن الحكم نفسه، كما سائر المذكرات والمستندات في الملف القضائي، لا يشير الى القانوني الدولي الإنساني علماً انه القانون الواجب اعتماده لإصدار الاحكام المتعلقة بالجرائم المرتكبة اثناء الحروب. ولم يأت ذلك صدفة أو سهواً، بل تعمدته السلطة القضائية الأميركية باعتبار أن اطلاق حزب الله الصواريخ «عمل من اعمال الحرب» (act of war) يمنع ملاحقته بموجب قانون مكافحة الإرهاب الاميركي.

لكن محكمة نيويورك لم تتجنب التطرق الى معاهدات جنيف فقط لهذا السبب، بل لأن تلك المعاهدات (وهي أربع وتشكل مع البروتوكولات الإضافية أساس القانون الدولي الإنساني) يمكن ان تجرّم العدو الإسرائيلي، خصوصاً لناحية تجاوزه مبدأ التناسبية (proportionality) خلال الحرب، وبسبب استهداف جيش العدو الإسرائيلي المستشفيات وسيارات الإسعاف والمنشآت المدنية الحيوية ومراكز تابعة للأمم المتحدة في لبنان.

توزيع تعويضات «حرب 2006»
(بملايين الدولارات)

لوري رابيورت	7,050
مارغاليت رابيورت	4,500
يائير مور	2,550
ميكيمي ستاينبرغ	2,550
ثيودور غرينبرغ	7,500
مورين غرينبرغ	7,500
حاييم كابلان	9,000
ريفكا كابلان	7,500
حاييم كومر	6,000
نشامة كومر	7,500
أفيشاي ريوفان	4,500
ايليشيفا ارون	4,500
براين اردستاين	7,500
كارين اردستاين	10,500
مايان اردستاين	4,500
دفورا كازيماشر	7,085
شايا القريف	6,750
جاريد سوتر	4,500
المجموع	111,485

قوانين في خدمة التصنيف

يشدد الحكم على ان الحكومة الأميركية كانت قد صنفت حزب الله منظمة إرهابية منذ عام 1995 بسبب ضلوعه المزعوم في «لائحة طويلة» من الهجمات الارهابية. ويعني ذلك ان هذا التصنيف سبق صدور قانون «مكافحة الإرهاب» (1997). واضاف مراسم عاشوراء عام 2017 قائلاً: «انا اليوم، في يوم العاشر، اريد أن اوجّه كلاماً واضحاً للاسرائيليين ولليهود في فلسطين المحتلة وفي العالم. أقول لهم نحن في المقاومة منذ البداية قلنا ان معركتنا هي مع الغزاة الصهاينة المحتلين لأرض فلسطين ولأراضينا العربية وليست مع اليهود» (خطاب العاشر 1-10-2017).

هامش تحرك الاميركيين

الحكم الذي لن تتجاوز قيمته الحبر الذي طُبع به والاستغلال الإعلامي الذي حظي به، يتيح للسلطات الاميركية هامشاً أوسع للتحرك ضد حزب الله عبر، مثلاً، استخدامه ضد اشخاص يتهمهم الأميركيون بدعم الحزب ومساندته. اذ يرد في قانون مكافحة الإرهاب الأميركي (1997) «يمكن تأكيد المسؤولية تجاه أي شخص يساعد ويحرض، من خلال تقديم مساعدة كبيرة عن عمد، أو يتآمر مع الشخص الذي ارتكب مثل هذا العمل من أعمال الإرهاب الدولي». وبالتالي، يمكن اعتبار كل من أيّد المقاومة عام 2006 ودعم مواجهتها للغزاة الصهاينة بأي شكل من الاشكال، وكافح هجومها العسكري الهمجي على المدنيين وخصوصاً الأطفال والنساء وسيارات الإسعاف والمستشفيات ومراكز الأمم المتحدة، متآمراً مع «الإرهاب الدولي».

كما يمكن ان تستند السلطات الأميركية الى الفقرة 2339 من قانون مكافحة الإرهاب التي تجرّم «إيواء أو إخفاء الإرهابيين». حيث يرد فيها تجريم «من يؤوي أو يخفي أي شخص يعرفه، أو لديه أسباب معقولة للاعتقاد انه ارتكب أو على وشك ارتكاب جريمة بموجب القسم 2332 ب المتعلق باعمال الإرهاب التي تتجاوز الحدود الوطنية». علماً ان من يصنفهم القانون الأميركي إرهابيين في لبنان ليسوا هاربين أو مخفيين ولا يحتاجون لإيواء من أحد، بل هم نواب منتخبون ووزراء في الحكومات ومسؤولون في الدولة التي تقدم لها سفيرة الولايات المتحدة في لبنان أوراق اعتمادها.

القاضي
ستيفن تيسيون
(حائز على جائزة بطل اميركي حقيقي True American Hero Award) منحته اياها وكالة مكافحة المخدرات الفدرالية

القاضي
برايان كوغن
كان قد حكم ضد البنك العربي عام 2015 بالإدانة بسبب علاقته بالمقاومة الفلسطينية

تحت القوس

عراك امام قصر العدل

■ عمر نشابة

«تلغى قاعدة التمثيل الطائفي ويعتمد الاختصاص والكفاءة في الوظائف العامة والقضاء، والمؤسسات العسكرية والأمنية والمؤسسات العامة والمختلطة وفقاً لمقتضيات الوفاق الوطني، باستثناء وظائف الفئة الأولى فيها وفي ما يعادل الفئة الأولى فيها، وتكون هذه الوظائف مناصفة بين المسيحيين والمسلمين دون تخصيص أية وظيفة لأية طائفة مع التقيد بمبدأي الاختصاص والكفاءة». (المادة 95 من الدستور)

يعني ذلك، استناداً الى النص الدستوري، وبعيداً عن التشاطر والتذاكي في التفسير والتحليل والتبرير، ان «قاعدة التمثيل الطائفي» تطبّق في وظائف الفئة الأولى في الدولة بما في ذلك وظيفة رئيس مجلس القضاء الأعلى ووظيفة المدعي العام لدى محكمة التمييز ورئيس هيئة التفتيش القضائي وغيرها من الوظائف الأساسية في القضاء «المستقل». ولا احد في جمهورية الطوائف اليوم يسلّم بأن منصب رئيس مجلس القضاء الأعلى يمكن ان يتولاه قاض من غير الطائفة المتفق عليها مسبقاً. واذا طرح الامر فسيخضع لحسابات التبادل في نظام المحاصصة الطائفية حيث يتم استبدال تخصيص وظيفة لطائفة بتخصيص وظيفة أخرى للطائفة المقابلة. ويجهد اتباع الطوائف في الحفاظ على مصالح طوائفهم الفئوية.

صحيح ان مطلع الدستور يشير الى ان «القضاة مستقلون في إجراء وظيفتهم» (المادة 20)، لكن الا يقتضي ذلك تسميتهم بطريقة تتيح لهم الحفاظ على استقلاليتهم ومن دون ربطهم بـ«قاعدة التمثيل الطائفي»؟ يختلف البعض حول تفسير «قاعدة التمثيل الطائفي» التي يستثني الدستور وظائف الفئة الأولى من الغائها. فالتمثيل الطائفي بالنسبة للبعض لا يعني الانصياع لمرجعية الطائفة، بل - بحسب هؤلاء - ان مجرد انتماء القاضي للطائفة كفيل بجعل الطائفة ممثلة بحسب القاعدة. لكن هل يمكن ان يتولى القاضي المنصب المخصص لطائفته من دون ان يحافظ على مصالحها؟ الّا يعرضه ذلك لهجوم رجال الدين كما حصل مؤخراً؟

هل يعقل ان يفسّر نظام المحاصصة الطائفية فعلاً على انه نظام شراكة بين الطوائف لتحقيق المصالح المشتركة لجميع اللبنانيين؟ أبهذه السذاجة يمكن تبرير الطائفية المدمّرة لما تبقى من مؤسسات الدولة؟

بعد مراقبة سلوك البعض في مجلس القضاء الأعلى وفي الدوائر القضائية قد يتبين ان التفسير المناسب لـ«قاعدة التمثيل الطائفي» التي اتبعت في تحديد موظفي الفئة الأولى في القضاء، يأتي في اطار تطوير الفنون المسرحية. كل قاض يقوم بتمثيل الدور الذي حُدد له في النظام الطائفي. وعلى خشبة مسرح القضاء الأعلى تتفاوت الابداعات الفنية في التمثيل الطائفي. ولا يعترف أي من القضاة بسعيه للحفاظ على مصالح الطائفة التي ينتمي اليها علماً أن تعيينه اتى عملاً بـ«قاعدة التمثيل الطائفي» كما جاء في نص الدستور. لكن صياغة الدستور لا تسمح بالتوقف عند هذا الحد. اذ اضيف الى النص الدستوري «مع التقيد بمبدأي الاختصاص والكفاءة» في ما يشبه صيغة عقود التأمين. تلك العقود يوقّعها معظم الناس من دون ان يقرأوا مضمونها جيداً.

واليوم لن تسدل الستارة على المسرح، بل بات ممثلو الطوائف هم الجمهور الذي يشاهد عراكاً بين زوّار المسرح على مدخل قصر العدل.

جريمة في السينما

عندما تصبح الإسلاموفوبيا ترفيهاً

غالباً ما تربط السينما الاميركية مفهوم الإرهاب بالعرب والمسلمين، منذ فيلم "Sirocco" (1951، اول فيلم روائي طويل من هوليوود يصور العرب كإرهابيين، وهو حول «متعصبين» سوريين يهاجمون جنود الاحتلال الفرنسي وتاجر أسلحة اميركيا). بعد هجمات 11 سبتمبر، كثفت هوليوود إنتاج الافلام التي تتناول قضايا الإرهاب المرتبطة بالجماعات الجهادية الراديكالية في الشرق الاوسط، وعززت الصور النمطية السلبية للعرب والمسلمين. وكشفت تقارير قانون حرية المعلومات عن شراكة بين هوليوود مع وبرامج البنتاغون ووكالة الاستخبارات الاميركية. واظهرت الوثائق ان الحكومة الاميركية عملت من وراء الكواليس لانتاج كثير من الافلام السينمائية والتلفزيونية

■ شفيق طبارة

كاميرا القلم

في مقالته «ولادة طليعة جديدة: كاميرا القلم» (1948)، حذر المخرج والكاتب الناقد السينمائي الكسندر أستروك من أن الشخصية الإبتكارية الجديدة التي كانت السينما تكتسبها في بداية الخمسينيات ستصبح «لغة»، و«أعني باللغة، الشكل الذي يمكن للفنان من خلاله التعبير عن أفكاره، مهما كانت مجردة، أو ترجمة هواجسه تماماً كما يفعل في المقالة أو الرواية المعاصرة. لهذا السبب أود أن أطلق على هذا العصر الجديد للسينما عصر كاميرا القلم. أعني بذلك أن السينما ستتحرر تدريجياً من استبداد ما هو بصري، من الصورة ذاتها، لتصبح وسيلة كتابة مرنة ودقيقة، لغة. هذا الفن، على الرغم من أنه ينعم بإمكانيات هائلة، هو فريسة سهلة للتحيز».

من جهة أخرى، تخلق «كاميرا القلم» تفاعلاً حميماً بين المشاهد والشخصيات، سواء كانت حقيقية أم خيالية، ويبدأ المشاهد، بوعي أو بغير وعي، في إصدار سلسلة كاملة من الأحكام والتقييمات حول شخصية تلفزيونية أو سينمائية. لذلك، قسم لا بأس فيه من السينما، وقبلها الراديو والتلفزيون والصحف والمجلات، أصبح جزءاً مما يسمى بالأجهزة الإيديولوجية للدولة. وهذا يتجلى في كثير من الأحيان في فرض السينما شعاراً معيناً من خلال أفعالها وخطاباتها. وقد استغلت هوليوود هذا الابتكار الجديد، ومن خلاله أصبحت غالبية الصور لدى المتلقي الغربي لأماكن مثل اليابان أو روسيا ولأديان مثل البوذية والإسلام، نتاج ساعات من التعرض للشاشة. بهذه الطريقة تغذي هوليوود بعض المتفرجين بصور نمطية وكليشيهات ورموز ثقافية ودينية ومعلومات مغلوطة عن أديان وشعوب اسيء تفسيرها وفهمها مما يكسر ابسط قواعد التعايش بين مختلف الشعوب والثقافات والأديان.

هوليوود والإسلاموفوبيا

أنتجت هوليوود أكثر من 900 فيلم عن العرب، غالبيتها العظمى تشوه صورة الرجال والنساء والأطفال العرب "Prisoner In the Middle" (1974)، "Black Sunday" (1977)، "Wanted Dead or Alive" (1987)، "The Siege" (1998). ومنذ أحداث 11 سبتمبر، أصبحت الإسلاموفوبيا أكثر صراحة ووضوحاً في الصناعة السينمائية من أي وقت مضى. فأنتجت أفلام تجارية ناجحة عزّزت رهاب الاسلام، والصور النمطية المهينة للعرب والمسلمين والمجتمعات الإسلامية، وبعضها استهدف المسلمين بشدة ووصفهم بأنهم قتلة مجرمون كارهون للحضارة الغربية. بعد الهجمات، أعطت وكالة المخابرات المركزية قوة دفع جديده لاستراتيجيتها في هوليوود، خصوصاً بعد اتهامها بالإخفاق الاستخباراتي، وشهدت الالفية الثالثة تدخل الوكالة على مستويات عدة في انتاج عدد من الأفلام.

عام 2007، القى بول كيلبو المستشار العام السابق لوكالة المخابرات المركزية محاضرة حول علاقة الوكالة بهوليوود. واوضح انه في معظم الأفلام يتم تعيين عميل للوكالة لمدة تصوير الفيلم تحت شعار مستشار، لكن وظيفته الحقيقية هي تضليل صانعي الأفلام. في "Zero Dark Thirty" (2012) تم تقديم الهدايا إلى بعض عملاء وكالة المخابرات من أجل الحصول على معلومات سرية لإنتاج الفيلم الذي يصور بشكل درامي مجموعة من وكالة المخابرات المركزية أمضت أكثر من عقد من الزمن في تتبع مقر إقامة أسامة بن لادن. في "Iron Man" (2008) تم توفير التمويل، وفرض البنتاغون لوائح صارمة لتصوير الجيش بطريقة إيجابية. في "Syriana" (2005) كان عميل وكالة المخابرات المركزية على علاقة ودية مع كاتب سيناريو الفيلم والمخرج، وكانت الكثير من أحداث الفيلم مستوحاة من التجارب الشخصية للعميل. تستعمل هوليوود الصور النمطية من اجل إدامة المقولة الخاطئة بأن الإسلام عنيف بطبيعته. وتصور الأفلام الصراعات العسكرية على انها صراع حضارات بشكل درامي من خلال تصوير الشخصيات الإسلامية على أنها غير متحضرة. تبسّط هذه الصور منظور «نحن في مواجهة الإرهاب» لتصوير الاختلاف الديني على أنه أصل الصراع وتعزّف المسلمين على أنهم «العدو».

> بعد 11 أيلول موّل البنتاغون والاستخبارات عدداً كبيراً من الافلام السينمائية والتلفزيونية

أفلام مثل "The Hurt Locker" (2008)، "Zero Dark Thirty" (2012) و"American Sniper" عزّزت الإسلاموفوبيا، إذ أنها تكشف طبيعة «العدو» وخاصة العراقيين والأفغان والباكستانيين الذين تصفهم الشخصيات الرئيسية بـ«المتوحشين» وتنزع عنهم أي صفة إنسانية وتصل إلى تصنيف المدنيين كتهديد. مع ذلك، فإن التمثيل السلبي للمسلمين ليس المشكلة الوحيدة، إذ تروّج هذه الأفلام لمصطلح "المسلم الصالح"/ "المسلم السيئ". فالسيئ هو الإرهابي بالطبع، أما الصالح فهو من يتعامل مع الأميركيين لتقديم معلومات لهم حول الإرهابيين. ويضم كل فيلم شخصية مسلمة متعاونة أو حسنة النية على الأقل.

الآن، بعدما تغير الكثير في العالم، وانسحبت القوات الأميركية من العراق وأفغانستان، وبعد الحرب الروسية - الأوكرانية، يبقى أن نرى كيف ستتعامل هوليوود مع روسيا «العدو الأول للبشرية»!

المختبر الجنائي

«أساليب الاستجواب المعزز»
تعذيب ممنهج في دولة حقوق الانسان

أصدرت وزارة العدل الاميركية، عام 2009، مذكرة تفصيلية تشرح فيها تقنيات واساليب استجواب «معززة» اقترحتها وكالة المخابرات المركزية عام 2002. هذا التعبير «الملطّف» لبرنامج التعذيب المنهجي في الولايات المتحدة جاء في سياق تبرير التعذيب والانتهاكات في «الحرب العالمية على الإرهاب». داخل معتقلات «دولة الديمقراطية وحقوق الانسان»، تعرض المحتجزون للضرب، وأُجبروا على اتخاذ مواقف مؤلمة، وهُدّدوا بقتل اطفالهم واستحياء نسائهم، وتعرضوا لإذلال جنسي ولإهانات عنصرية ودينية، وجردوا من ملابسهم مقنعين ومعصوبي العينين، وحُرموا من الطعام والماء والنوم. تناقضت مزاعم واشنطن التي تجادل بان هذه الاساليب لا تشكل تعذيبا مع تصريحات اميركية وتقارير حقوق الإنسان السنوية التي تصدرها الخارجية الاميركية لاتهام دول اخرى باستخدام الاساليب نفسها. ورغم الطبيعة الواسعة النطاق والمنهجية للتعذيب، رفضت الولايات المتحدة، بوقاحة، السماح بإجراء تحقيق مستقل في الانتهاكات، ولم يُوجه اتهام إلى اي مسؤول رفيع المستوى معني بتطوير او تنفيذ السياسات التي ادت إلى التعذيب وسوء المعاملة. وخلصت الإدارة الاميركية إلى ان الإساءة كانت ببساطة نتيجة تصرفات عدد قليل من «الجنود المارقين». في ما ياتي نستعرض ما يسمى «الاستجواب المعزز» واساليب الاستجواب ذات الصلة، والآثار الجسدية والنفسية لاستخدامها

■ جنان الخطيب

في غرفة شديدة البرودة، مات أحد المحتجزين، نصف عار، بعد 48 ساعة من حرمانه من النوم. سمح برنامج الاعتقال والاستجواب التابع لوكالة المخابرات المركزية باستخدام ما يسمى «أساليب الاستجواب المعزز» مع المعتقلين الذين تم القبض عليهم بعد هجمات 11 أيلول. بتفويض من المسؤولين في البيت الأبيض في إدارة بوش ووزارة العدل، تعرّض 39 معتقلاً على الأقل لهذه الأساليب التي تشكل انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي واتفاقية مناهضة التعذيب، فتعرّض عدد من المعتقلين للإغراق بالمياه، وكثيراً ما استخدمت وكالة المخابرات المركزية مجموعة من التكتيكات كالحرمان من النوم للمحتجزين في أوضاع مجهدة، أو الحرمان الحسي للمعتقلين المقيّدين بالأغلال في الحبس الانفرادي. وكعادتها، تخفق الولايات المتحدة في الامتثال لالتزاماتها بموجب اتفاقية مناهضة التعذيب في الداخل والخارج، من دون حسيب او رقيب. فعرّفت الحكومة التعذيب على طريقتها وجادلت بأن حظر المعاملة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة لا ينطبق خارج الولايات المتحدة. وقد برر تفسيرها الانتقائي للاتفاقية تطوير تقنيات الاستجواب التي انتهكت المعاهدة، وخلقت مناخاً من الارتباك بين الجنود الأميركيين، وأدى إلى انتشار التعذيب وإساءة معاملة المعتقلين في خليج غوانتانامو والعراق وأفغانستان.

لا تقتصر انتهاكات الولايات المتحدة لاتفاقية مناهضة التعذيب على أفعال العسكريين في الخارج في «الحرب على الإرهاب»، ولكنها في الواقع منتشرة في كل مكان في الداخل. على سبيل المثال، عندما ضرب إعصار كاترينا نيو أورليانز في آب 2005، تُرك أكثر من ألف سجين بعد ارتفاع المياه التي غمرت السجن في زنازينهم لعدة أيام من دون طعام أو ماء أو تهوئة. ويتعرض السجناء والمعتقلون داخل الولايات المتحدة لظروف وممارسات وحشية تشبه بشكل مخيف تلك التي يتعرض لها المعتقلون في الخارج - الحبس الانفرادي لفترات طويلة، ودرجات الحرارة القصوى، والترهيب بالكلاب، والقيود المؤلمة وأجهزة الصعق بالكهرباء. وأوجه الشبه هذه ليست مفاجئة، إذ إن بعض المسؤولين والجنود الذين ارتكبوا انتهاكات في الخارج عملوا سابقًا في سجون داخل الولايات المتحدة.

نمط منهجي للتعذيب

◄ الإيهام بالغرق:

يخلق إحساسًا بالاختناق أو الغرق. يُثبَّت المعتقل على ظهره ويُصب الماء على قطعة قماش تغطي وجهه. كثيراً ما تعرض المعتقلون لهذا الأسلوب بشكل متكرر، فخالد شيخ محمد، مثلاً، تعرّض للإيهام بالغرق 183 مرة على الأقل. وتعرض معتقل آخر، هو أبو زبيدة، للإيهام بالغرق في كثير من الأحيان لدرجة أنه جعله، مرة واحدة على الأقل، غير مستجيب تمامًا. وقد يؤدي أسلوب التعذيب هذا أيضًا إلى نزيف من الأذنين، وتلف شديد في الرئة والدماغ، وضرر نفسي دائم.

◄ الجدار:

تتضمن هذه التقنية تطويق عنق المحتجز بطوق أو منشفة، وضربه بالحائط. على الرغم من وجود شرط استخدام جدار زائف لتجنب الإصابة، تعرض العديد من المعتقلين للضرب بجدار خرساني. حتى في حالة استخدام جدار زائف، يتعرض المعتقلون لإصابات بالغة.

◄ الحرمان من النوم:

يظل المعتقلون مستيقظين من خلال تكبيلهم أو إجبارهم على الوقوف أو وضعهم في أوضاع مجهدة في محاولة لتدمير قدرتهم على المقاومة النفسية. يتم الجمع بين هذا الأسلوب مع العري و / أو الاستجواب على مدار الساعة. على الرغم من أن الحرمان من النوم لفترات طويلة ليس عنيفًا بشكل صريح، إلا أنه يمكن أن تكون له آثار عقلية وجسدية مؤلمة ومدمرة. بعد 56 ساعة من عدم النوم، عانى أرسلان خان من هلوسات عنيفة من كلاب تقتل عائلته.

> عرّفت الحكومة التعذيب على طريقتها وجادلت بأن حظر المعاملة القاسية او اللاإنسانية لا ينطبق خارج الولايات المتحدة

◄ الوقوف على أقدام مكسورة:

كشكل من أشكال الحرمان الشديد من النوم، أُجبر محتجزان، هما أبو حازم وعبد الكريم، على الوقوف لساعات رغم إصابتهما بكسور في القدمين. على الرغم من التوصيات بتجنب تحمل الوزن لمدة ثلاثة أشهر، فقد تعرض أبو حازم لـ 52 ساعة من الحرمان من النوم أثناء وقوفه على قدمه المكسورة، بعد شهر بالكاد من تشخيص إصابته. أثناء إصابتهم، تعرض هؤلاء المعتقلون أيضًا للضرب بالجدران.

◄ الحبس الانفرادي:

يُحبس المعتقلون من دون أي فرصة للتفاعل الاجتماعي. غالبًا ما كان هذا مصحوبًا بالعري والحرمان الحسي والظلام التام أو الضوء المستمر والتقييد. تم عزل أحد المعتقلين عاريًا في زنزانة ذات أضواء ساطعة وضوضاء بيضاء أو موسيقى صاخبة. في مرحلة ما، تم احتجازه لمدة 47 يومًا في عزلة تامة. من مخاطر الحبس الانفرادي العنف، الانتحار، وفقدان جزئي للنشاط العقلي.

◄ مواقف الإجهاد:

تم تصميم هذه الأوضاع لإحداث الألم وعدم الراحة لفترات طويلة من الوقت، وغالبًا ما يتم استخدامها مع الحرمان من النوم. كان المعتقلون يقيّدون بأذرعهم فوق رؤوسهم، ويُجبرون على البقاء واقفين، أو يوضعون في زنزانات ضيقة، مثل الصناديق في حجم التابوت. تم احتجاز بعض المعتقلين في صناديق على شكل نعش لمدة تزيد على 11 يومًا.

◄ التغذية الشرجية:

تم استخدام التغذية الشرجية للسجناء الذين يرفضون الطعام ويستلزم ذلك إدخال أنبوب يحتوي على طعام مهروس في الممر الشرجي للمعتقل. تم استخدام هذا الاسلوب لضبط السلوك، دون ضرورة طبية، على الرغم من مخاطر تلف القولون والمستقيم، أو تعفن الطعام داخل الجهاز الهضمي. أحد المحتجزين أصيب بتدل في الشرج بسبب فحوصات الشرج القاسية.

◄ التعري:

يعتمد هذا الشكل من أشكال الإذلال الجنسي على المحرمات الثقافية والدينية، ويتطلب من المعتقلين أن يكونوا عراة كليًا أو جزئيًا أثناء الاستجواب او عند تقييدهم بالأغلال. كما تم الجمع بين العري ودرجات الحرارة الباردة والاستحمام البارد.

◄ التهديدات:

يتعرض المحتجزون للتهديد بمزيد من التعذيب الجسدي وكذلك بالعنف أو الموت أو الاعتداء الجنسي ضد أسرهم، فيتم تهديد المعتقلين بقتل أطفالهم أو الاعتداء على زوجاتهم أو أمهاتهم. وقد ثبت أن مثل هذه التهديدات تسبب الخوف الشديد وفقدان السيطرة، والكوابيس المتكررة، والتي ترتبط ارتباطًا وثيقًا باضطراب ما بعد الصدمة والاكتئاب الشديد.

إرث من العقول المدمرة

بالإضافة الى التعذيب الجسدي الممارس على المعتقلين باستخدام ما يسمى بـ «اساليب الاستجواب المعزز»، يشكل برنامج الاعتقال والاستجواب التابع لوكالة المخابرات المركزية تعذيباً نفسياً بموجب قوانين الولايات المتحدة. على وجه التحديد، يظهر من خلال التحليل المفصل، ان تلك الأساليب تحث على «العجز المكتسب»، والذي ينتهك قوانين التعذيب، بحظر إلحاق «ضرر عقلي طويل الأمد» من خلال إجراءات «محسوبة لإحداث اضطراب عميق في الشخصية البشرية».

فقد أظهر ما لا يقل عن نصف الأشخاص البالغ عددهم 39 شخصًا الذين خضعوا لبرنامج «الاستجواب المعزز» أعراضاً نفسية، حيث تم تشخيص بعض المصابين باضطراب ما بعد الصدمة أو جنون العظمة أو الاكتئاب أو الذهان. بالإضافة الى ان المعتقلين يعانون من ندوب عميقة من الاستجواب والعزلة والعار من الاستهزاء الجنسي والعري القسري والتفتيش العدواني في تجاويف الجسم.

سين جيم

إعداد صادق علوية

التوقيف الاحتياطي المستدام خلافاً للقانون

في كل مرة تُثار قضية اكتظاظ الموقوفين في السجون، وبخاصة غير المحكومين منهم، يبدأ البحث عن حلول، تتراوح بين العفو العام، وخفض السنة السجنية، والإخلاء الفوري لجميع الموقوفين او على اساس الجرم ونوعه، والتسريع في المحاكمات... في حين ان الطرح الاساسي يقتضي ان يتجه إلى معالجة اسس التوقيف في حد ذاته. فمشكلة التوقيف الاحتياطي انه اصبح القاعدة فيما إخلاء السبيل هو الاستثناء. والتدقيق في قرارات التوقيف يبيّن ان معظمها يندرج في إطار التوقيف الاحتياطي وتمديده بشكل مغاير لروحية قانون اصول المحاكمات الجزائية. فالتوقيف الاحتياطي ليس عقوبة بحد ذاته، بل توقيف مؤقت يهدف الى وضع المشتبه فيه بتصرف القضاء، او الحفاظ على سلامة التحقيق وسريته ضمن شروط وضوابط حدّدها القانون

هل التوقيف الاحتياطي مباح بشكل مطلق للقضاة؟

الأصل ان التوقيف الاحتياطي هو استثناء وقيد على حرية الفرد، لذلك وضع القانون قيوداً على قاضي التحقيق. ومن شروط التوقيف الاحتياطي التي حدّدها القانون:

1- ان يكون الجرم المسند اليه معاقباً عليه بالحبس أكثر من سنة او ان يكون الفرد محكوماً بعقوبة جنائية او بالحبس أكثر من ثلاثة أشهر من دون وقف التنفيذ.

2- ان يكون قرار التوقيف معللاً.

3- ان يبين فيه قاضي التحقيق الاسباب الواقعية والمادية التي اعتمدها لاصدار قراره.

4- ان يكون التوقيف الاحتياطي الوسيلة الوحيدة للمحافظة على أدلة الاثبات او المعالم المادية للجريمة، او للحيلولة دون:

ممارسة الاكراه على الشهود او على المجني عليهم

او لمنع المدعى عليه من اجراء أي اتصال بشركائه في الجريمة او المتدخلين فيها او المحرضين عليها

5- ان يكون الغرض من التوقيف:

حماية المدّعى عليه نفسه

او وضع حد لمفعول الجريمة او الرغبة في ابقاء تجددها

او منع المدعى عليه من الفرار

او تجنيب النظام العام أي خلل ناجم عن الجريمة

هل يجوز للضابطة العدلية توقيف اشخاص تم الاشتباه بهم؟

يحظر على ضباط الضابطة العدلية (القوى الأمنية) احتجاز المشتبه فيهم في نظاراتهم إلا بقرار صادر عن القضاء ممثلا بالنيابة العامة، وضمن مدة لا تزيد على ثمان واربعين ساعة يمكن تمديدها مدة مماثلة فقط بناء على موافقة النيابة العامة. وحتى في الجريمة المشهودة، أولى القانون صلاحية التوقيف للنيابة العامة وليس قوى الأمن التي أولاها صلاحية القبض على المرتكب فقط.

متى يجوز التوقيف الاحتياطي في الجريمة المشهودة؟

إذا كان الجرم في الجريمة المشهودة من نوع الجنحة التي تستوجب عقوبة الحبس سنة على الأقل، للضابط العدلي ان يقبض على المشتبه فيه وان يحقق في الجنحة تحت اشراف النائب العام الذي هو من يحق له تقرير توقيفه بالجنحة وإحالته مباشرة امام القاضي المنفرد لمحاكمته.

اما في الجناية، فيحق للنائب العام أو المحامي العام أن يحتجز شخصاً وجده بين الحضور اذا توافرت فيه شبهات قوية، ويكون احتجازه على ذمة التحقيق لمدة لا تزيد على ثمان واربعين ساعة، ما لم ير أن التحقيق يحتّم مهلة إضافية فيقرر تمديد احتجازه مدة مماثلة.

ما هي الحالات التي يحق فيها لقوى الامن الداخلي توقيف الاشخاص؟

يحق لقوى الأمن الداخلي أن توقف الأشخاص بموجب قانون أصول المحاكمات المدنية وقانون تنظيم قوى الأمن الداخلي في الحالات الآتية:

1. تنفيذاً لحكم قضائي.
2. تنفيذاً لمذكرة عدلية.
3. تنفيذاً لطلب من السلطة القضائية صاحبة الصلاحية أو من ضباط الضابطة العدلية.
4. تلقائياً في حالة الجناية المشهودة والجنحة المشهودة التي تكون عقوبتها الحبس على أن يُعلموا في الحال المرجع القضائي المختص ويتقيدوا بتعليماته.
5. كما يمكن لرجال قوى الأمن الداخلي اللجوء إلى التوقيف الوقائي ذي الطابع الإداري عندما يشكل ترك الشخص طليقاً خطراً على نفسه أو على الغير، كمن كان في حالة السكر الظاهر أو ما شابه، أو في سبيل التثبت من وضع الشخص المشتبه به أو المشكوك في صحة هويته. وهذا التوقيف لا يجوز أن يستمر أكثر من 24 ساعة. وتعتبر بعض المراجع الحقوقية الحالة الأخيرة ملغاة بموجب قانون أصول المحاكمات الجزائية الجديد.

ما هي عقوبة مخالفة الضابط او القاضي لاصول توقيف المشتبه فيه؟

إذا خالف الضابط العدلي الأصول المتعلقة باحتجاز المدعى عليه أو المشتبه فيه، يتعرض للملاحقة بجريمة حجز الحرية المنصوص والمعاقب عليها بموجب المادة 367 من قانون العقوبات، والتي تنص على إنزال عقوبة بحق الموظف الذي يوقف او يحبس شخصاً خلافاً لما نص عليه القانون، بالإضافة إلى العقوبة المسلكية سواء أكانت الجريمة مشهودة أم غير مشهودة.

يتعرض القائم بالتحقيق (من قضاة النيابة العامة او من عناصر الضابطة العدلية)، إضافة إلى العقوبة المسلكية، لعقوبة الحبس لمدة تتراوح بين ثلاثة أشهر وسنة وبغرامة تتراوح بين مليوني ليرة وعشرة ملايين ليرة في حال لم يراع أيا من الضمانات الأساسية للموقوف بما فيها احتجازه خلافاً للقانون. يعاقب مدراء وحراس السجون أو المعاهد التأديبية أو الاصلاحيات وكل من اضطلع بصلاحياتهم من الموظفين بالحبس من سنة الى ثلاث سنوات، اذا قبلوا شخصاً من دون

> **حتى في الجريمة المشهودة، اولى القانون صلاحية التوقيف للنيابة العامة وليس لقوى الامن التي اولاها فقط صلاحية القبض على المرتكب**

مذكرة قضائية أو قرار قضائي، او استبقوه الى أبعد من الأجل المحدد. ضباط القوة العامة وافرادها وجميع الموظفين الاداريين الذين يرفضون او يؤخرون احضار شخص موقوف او سجين أمام القاضي ذي الصلاحية الذي يطلب اليهم ذلك، يعاقبون بالحبس من شهر الى سنة.

هل هناك حالات لا يجوز فيها مطلقاً اتخاذ قرار بالتوقيف الاحتياطي؟

حددت بعض القوانين حالات لا يجوز فيها مطلقاً اتخاذ القرار بالتوقيف الاحتياطي ومنها قانون المطبوعات وقانون تنظيم مهنة المحاماة، حيث لا يجوز التوقيف الاحتياطي بحق الصحافيين والإعلاميين في جرائم المطبوعات، كما لا يجوز توقيف المحامي احتياطياً في دعوى الذم أو القدح أو التحقير التي تقام على محام بسبب أقوال أو كتابات صدرت عنه أثناء ممارسته مهنته.

ما هي المدة القصوى لتوقيف المدعى عليه؟

في الجنحة: لا يجوز ان تتعدى مدة التوقيف شهرين، ويمكن تمديدها لتصبح أربعة أشهر كحد اقصى في حالة الضرورة القصوى باستثناء المحكوم عليه سابقا بعقوبة مدتها سنة على الاقل.

في الجنايات: لا يجوز ان تتعدى مدة التوقيف ستة أشهر، يمكن تجديدها لمرة واحدة لتصبح ستة بقرار معلل، باستثناء: الموقوف المحكوم عليه سابقا بعقوبة جنائية وجنايات القتل والمخدرات والاعتداء على أمن الدولة والجنايات ذات الخطر الشامل وجرائم الارهاب.

ما البديل عن التوقيف الاحتياطي؟

يمكن لقاضي التحقيق، مهما كان نوع الجرم، ان يستعيض عن توقيف المدعى عليه بوضعه تحت المراقبة القضائية، وبالزامه بموجب او اكثر من الموجبات التي يعتبرها ضرورية لانفاذ المراقبة. منها:

أ - التزام الاقامة في مدينة او بلدة او قرية ومنع مبارحتها واتخاذ محل اقامة فيها.

ب - عدم التردد على محلات او اماكن معينة.

ج - ايداع جواز السفر لدى قلم دائرة التحقيق وإعلام المديرية العامة للامن العام بذلك.

د - التعهد بعدم تجاوز دائرة المراقبة واثبات الوجود دورياً لدى مركز المراقبة.

هـ - عدم ممارسة بعض المهن التي يحظر عليه قاضي التحقيق ممارستها طيلة مدة المراقبة.

و - الخضوع للفحوصات الطبية والمخبرية دورياً في خلال مدة يعيّنها قاضي التحقيق.

ز - تقديم كفالة ضامنة يعيّن مقدارها قاضي التحقيق.

اذا اخل المدعى عليه باحد موجبات المراقبة المفروضة عليه، لقاضي التحقيق ان يقرر اصدار مذكرة توقيف في حقه. ويمكن لقاضي التحقيق ان يقرر منعه من السفر مدة لا تتجاوز الشهرين في الجنحة والسنة في الجناية من تاريخ اخلاء سبيله او تركه.

ما هي صلاحية النائب العام في حال رفض قاضي التحقيق استجواب المدعى عليه الموقوف احتياطيا؟

في حال إحضار القوى الأمنية لموقوف بموجب مذكرة احضار، على قاضي التحقيق أن يستجوبه خلال أربع وعشرين ساعة من وقت تنفيذ مذكرة الاحضار في حقه. عند انقضاء الاربع والعشرين ساعة يتوجب على رئيس النظارة أن يحضر، من تلقاء نفسه، المدعى عليه الى النائب العام الذي يطلب من قاضي التحقيق استجوابه.

إن أبى قاضي التحقيق او كان غائبا او حال دون استجوابه مانع شرعي فيطلب النائب العام من قاضي التحقيق الاول ان يستجوبه او يعهد الى احد قضاة التحقيق بذلك. إن تعذر استجوابه فيأمر النائب العام باطلاق سراحه في الحال.

اذا استمر احتجازه اكثر من اربع وعشرين ساعة دون ان يحضر الى النائب العام، فيعدّ هذا التوقيف عملا تعسفيا ويلاحق الموظف المسؤول عنه بجريمة الحرمان من الحرية الشخصية.

قانون اصول المحاكمات الجزائية

قانون يرمي الى تعزيز الضمانات الاساسية وتفعيل حقوق الدفاع

في العمق

ألف باء القانون

موقوفون رهن إضراب القضاة

سوزان هاشم

«العدالة البطيئة تساوي عدالة معدومة»، فكيف الحال حين لا يكون وجود للعدالة أصلاً. منذ نحو أربع سنوات والعدالة في لبنان مغيّبة بسبب الإضرابات المتعاقبة بين موظفين وقضاة، ومحامين أحياناً، إضافة إلى فترة الإقفال القسري أثناء جائحة كورونا. رغم ذلك، كانت الإضرابات سابقاً تترك كوةً صغيرة في جدارها، بحيث يُستثنى الموقوفون والقضايا ذات صفة العجلة، على عكس إضراب القضاة الأخير المطلق (منذ شهرين تقريبا) الذي لم يستثنِ أياً من القضايا، وحوّل المحاكم أروقةً خالية يلفّها الظلام.

تعطيل قضايا الموقوفين يرتّب تعسفاً وإجتجازاً للحرية مخالفاً للقوانين يرتب مسؤوليات كبرى على الجسم القضائي لما يحمله من بعد إنساني، كما أن الكثير من القضايا والملفات المجمّدة منذ ما يقارب أربع سنوات تكبّد أصحابها أضراراً فادحة، نتيجة الإضرابات المتلاحقة. فمن يعوّض هؤلاء عن الخسائر اللاحقة بهم، وعن حجز الحرية من دون وجه حق؟ وهل يمكن مداعاة القضاة أو الدولة عن ذلك؟ والأهم كيف يمكن إستعادة الثقة بهذا المرفق، وإقناع المواطن بالإحجام عن تطبيق شريعة الغاب؟

السجون قاب انفجار أو أدنى. موقوفون يتكدّسون داخل أماكن الإحتجاز يوماً بعد يوم، نتيجة تعطيل مرفق العدالة، المعتكف إلّا عن إصدار إشارات ومذكرات توقيف. فالقضاة منذ أكثر من شهرين قرروا «الإنتفاضة من أجل تحصيل حقوقهم» بعدما تآكلت رواتبهم نتيجة الأزمة المالية، فأشهروا سيوفهم تجاه المتقاضين وأعلنوا الإعتكاف الشامل والمطلق. قد يفهم البعض أحقية مطالب القضاة، سيّما لناحية مطالبهم لتحسين الرواتب التي لم تعد تكفي لتلبية الحد الأدنى من تكاليف الإنتقال إلى المحكمة. ولكن ما لا يُفهم كيف يمكن أصلاً إصدار مذكرات توقيف والإمتناع عن إصدار قرارات أخرى؟ والسؤال الأهم الا يُعتبر عدد لا يستهان به من القضاة مسؤولاً عمّا وصلت إليه البلاد حالياً من أزمات نتيجة تراخيهم بالبت في قضايا الفساد؟

مهما يكن، فإنه بإمكان القضاة تسيير الحد الأدنى من مرفق العدالة المتهالك، وهو ما يفعله عدد قليل منهم. فالمظلومية اللاحقة بالموقوفين الذين تجاوزت مدة توقيفهم المهل القانونية لم تعد تحتمل، وهناك موقوفون من دون وجه حق صدرت قرارات بإخلاء سبيلهم قبيل إعلان الإعتكاف، إلا أنه لم يتم التوقيع على إشعارات إخلاء السبيل (وهو إجراء يُتخذ بعد أن يدفع الموقوف الكفالة المحددة)، فبقوا موقوفين ريثما يوقع على إشعار متعلق بقرار متخذ سابقاً!

كما أن اعتكاف قضاة الجزاء حرم كثيرين من حريتهم نتيجة عدم البت في ملفاتهم، بحيث تجاوزت مدة التوقيف مدة محكوميتهم. فمنهم من لم تصدر أحكام بحقهم في مواعيدها نتيجة الإعتكاف، ومنهم من أوقف بجنحة بسيطة، لا تتجاوز مدة توقيفهم خمسة أيام قانوناً وما زالوا حتى اللحظة قيد الاعتقال. علاء، مثلاً، واحد من هؤلاء، أوقف أوائل آب الماضي بجرم تعاطي المخدرات، وكان يفترض أتعاب محامين، بدلات نقل...)، تساوي أكثر بكثير من قيمة الحق المطالب به، ما سيعرضها بالتأكيد للإهمال، وتالياً لخسائر كبيرة في الحقوق.

تجدر الإشارة أن الإضراب في مرفق العدالة ليس أمراً جديداً. إذ لجأ إليه المساعدون القضائيون مراراً في السابق، وأحياناً القضاة، كذلك المحامون. ولكن، دائما كان يُستثنى الموقوفون وقضايا العجلة (بإستثناء الإضراب الذي أعلنه نقيب المحامين ملحم خلف والذي أوجب على المحامين

> **الا يُعتبر عدد لا يستهان به من القضاة مسؤولاً عمّا وصلت إليه البلاد من أزمات يعانون منها نتيجة تراخيهم بالبت في قضايا الفساد؟**

تقديم إستدعاء للنقابة من أجل التقاضي). اما إضراب القضاة المستمر منذ نحو شهرين فهو الأقسى كونه يشمل كل الدعاوى، وياتي بعد سلسلة إضرابات دمّرت الجسم القضائي، وأفقدت الثقة بهذه السلطة، فبات الناس يلجأون إلى إستيفاء حقوقهم بالذات، وتحوّلت المحاكم أروقة مقفرة ومهملة.

هل يمكن مداعاة الدولة بشأن المسؤولية الناجمة عن اعمال القضاة؟

لا شكّ في أن مواصلة القضاة إضرابهم سيلحق أضراراً فادحة بالمتقاضين، وهو ما سيعتبر استنكافاً عن إحقاق الحق. وهذا، بحسب البند الأول من المادة 741 أصول محاكمات مدنية، يخوّل أصحاب الحق مداعاة الدولة بشأن المسؤولية الناجمة عن أعمال القاضي بعد إنذاره مرتين للقيام بواجبه. إلّا أن هذه الدعوى التي ينبغي أن تقام أمام الهيئة العامة لمحكمة التمييز تبقى بلا جدوى لأكثر من سبب. فمع افتراض أن قضاة هذه الهيئة عدلوا عن اعتكافهم، إلا أنه من غير المنطقي أن يحاسبوا زملاءهم القضاة، سيّما إذا كان أعضاء الهيئة أنفسهم مشاركين في الاعتكاف. كما أن المادة 751 تجيز للقاضي المنسوب إليه سبب الدعوى (الاستنكاف عن إحقاق الحق) التدخل في المحاكمة في أي وقت لإبداء أقواله والمطالبة بالتعويض ضد المدعي عند الإقتضاء، الأمر الذي يدفع المتضررين حكماً إلى العدول عن تلك الفكرة، سيّما أن الكفّة لا تميل لمصلحتهم بسبب غياب مبدأ الشفافية وإستقلالية السلطة القضائية التي تمكن أي متقاض من تحصيل حقه، ولو عبر مخاصمة القضاة أنفسهم، ما يجعل تطبيق هذه المواد في الحالة هذه غير ذي جدوى. وفقاً لكل ما تقدم، لا تنقص لبنان قوانين لحماية حقوق المواطنين، ولكن تنقصه اليات للتطبيق بعيداً عن الحسابات السياسية والطائفية التي تقف حجر عثرة أمام أي خرق نحو دولة العدالة والقانون واحترام حقوق الانسان.

(هيثم الموسوي)

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، شفيق طبارة**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous al_qaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com